أسرة موبوءة

ملهاة في خمسة فصول

١٨٦٣

الشخصيات

ايفان ميخايلوفتش بريبيشيف : ملاّك ريفي ، **٥٥** عاماً .

ماري فاسيليفنا : زوجتُه ، **٤٨** عاماً .

ليوبوف ايفانوفنا : ابنتهما ، **١٨** عاماً .

كاترين ماتفيفنا دودكينا : ابنة أخ ايفان ، آنسة ، **٢٦** عاماً .

بطرس ايفانوفيتش : ابنهما ، **١٥** عاماً .

ماري ايسابيفنا: نيانا(١) قديمة وخادمة ، وهي الآن قيّمة على المنزل وصديقة له ، **٤٥** عاماً .

الكسي بافلوفيتش تفيردينسكوي: شاب من أسرة كهنوتية ، شغلته آل بريبيشيف أستاذاً ، **٢٢** عاماً .

أناتول دميتريفتش فينيروفسكي : موظف في دائرة رسوم الإنتاج(٢) ، **٣٥** عاماً .

---

(١) نيانا : مربية أطفال .

(٢) كانت هذا الدائرة تهتم بالرسوم غير المباشرة : على التبغ ١٨٣٨ ، وعلى السكر ١٨٤٨ ، وعلى المشروبات بخاصة ١٨٦١ .

سيرج بيتروفيتش بيكليشوف : رفيق فينيروفسكي في الجامعة .

نيكولاييف : قريب بريبيشيف ، مارشال النبلاء .

مدير أعمال :

كبير القرية :

خادم :

فلاحون :

« ملكية آل بريبيشيف . الوقت صباح . غرفة استقبال في بيت ريفي . أمام الأريكة طاولةٌ مستديرة يُقدَّم عليها الشاي والقهوة » .

* * *

الفصل الأول

« المربية تسرد جورباً ، تنهض وتصبّ الشاي . ماري فاسيابيفنا ، جالسة إلى الطاولة ، تتناول الفطور » .

المربّية : أعطيني فنجانَك ، سأصبُّ لكِ . ماذا تفعلين . أنت لا تشربين ، كأنك تتسلّيْن .

(تأخذ فنجانها) .

ماري فاسيليفنا ، **مغتاظة** : انتظري ، يا نيانا ، فأنا لم أنْتهِ بعد . لماذا تَصْرخين عليّ كأنكِ تصرخين على ولد ؟ هيّا ، صبّي الآن .

(تمدّ فنجانها) .

المربّية : أنا أنتظر ، أنتظرُ ، أنتظر ، أنتظرُ . مَضتْ الساعةُ العاشرة ، ونصفُ البيت لم يُفْطر بعد . فاذا ما انتهيتِ جاء السيدُ العجوز ، ثم الطالبُ مع بيتروشا .

ماري فاسيليفنا : أيّ طالب ؟ يُقالُ : طالِب .

المربية : لست أحبه ، فهو ليس رجلا منظماً ، وأنا ادعوه : طالبُ . لأنه رجل خفيف .

ماري فاسيليفنا : وأنا أعطفُ عليه ، يا نيانا .

المربية : هناك ما يدعو إلى ذلك ، في الحقيقة ! فمنذ شهر حلّ فيه البيتَ ، هل قال لأحدٍ كلمةً لطيفةً ؟ إنه لا يَفْتأ يَمزَحُ . (تقلّده) . وأظن أنه سخر من الجميع ، بصحبة ابنة الأخ . والبناتُ لا يعرفْن كيْف يتجنّبنه . هو غير أنيق ومع ذلك فهو يلاحق البنات . وقد نصحتُ دونياشا أن تضربه على وجهه ، إن ضايقها ، حتّى يأتي إلى المائدة وأثر اللطمة على وجهه ، وحتّى يسأله الحاضرون حينئذٍ : من أين لكَ هذا ؟ثمّ هل نحن مكلّفون بالباسه ، أو ماذا ؟ ما هذا ؟ كلّ بياض السرير من عندنا .

ماري فاسيليفنا : آه ! نيانا ، ما هذه الأفكار ! تصوّري أنه وحده ، وأنه شابٌ وفقير . وأنا مندهشةٌ حقا أن يكون نحيلاً إلى هذا الحدّ .

المربّية : سيسمَنُ حقاً ! سيأتي مع بيتّروشا للفطور ؛ ثم تأتي كاترين ما تفيفنا ، كنزنا ، مع كتابها . . . وسيُخْدَمون — وأخيراً ، والحمدُ لله ، ما ان تُخْلى المائدة حتى نسمع مرة أخرى : « نيانا : قهوة ! » ، « الفطور ! » ، ويأتي ذو الساقين النحيلتين .

ماري فاسيليفنا : ما هذه الأسماء المستعارة التي تأتين بها ، نيانا ! من هو ذو الساقين النحيلتين ؟

المربية : لكنه آناتول دميتّريفتش ، خطيب ليوبوتشكا . . .

ماري فاسيليفنا : يا لحماقة هذا الكلام ! وكيف يكون خطيبها ؟ هذا الشاب يتردّد على بيتنا لا غير .

المربية : تظنين أنْ ليس في الأرض من هو أغْبى من ماري المربّية ، فمنذ ثلاثين سنة وأنا أعيش مع السادة ، وقد آنَ لي أن أُحسن فَهْمَ الأشياء . أمن أجل قهوتكِ يقطع كل يوم سبعة عشر فرسخاً ليأتي من المدينة ؟ لا ، يا صديقتي . لا ريبَ أنه حسَبَ مهْرَ ليوبوتشكا ؛ من أجل هذا يأتي .

ماري فاسيليفنا : أهذا هو حُكمُكِ . قبل كل شيء : إنهما غير مخطوبين ، ومن ناحية أخرى ، إنه أحدُ الناس الذين لا يُغريهم المالُ .

المربية : سواء أكنت غبيةً أم لا ، فاني أرى كلَّ شيء ، اليوم لا يتزوج أحدٌ امرأةً ، يا صديقتي ، بلا مال ، مهما تكن تلك المرأةُ جميلةً . أما الخطيب فليس فيه ما يجذب ؛ وهو تافهٌ جداً بعمله في الخمور . سألتُ الناس عنه ، فلم يمدحوه . هو أولاً شحيحٌ ، ثم إنه متبجّح .

ماري فاسيليفنا : ما هذه الكلمة ؟ كيف قلتِ ؟

المربية : متبجح . ومعنى هذا عندنا أنه يظن نفسَه أجملَ الناس وأذكاهم ، وأن الآخرين ، في رأيه ، حمقى بجنبه .

ماري فاسيليفنا : غير صحيح ، على الإطلاق . هو عالم وكاتب . لكن ماذا بوسعك أن تفهمي ؟

المربية : أنا أشفق فقط على ليوبوتشكا ، لقد فتَلَ لها رأسَها تماماً .

ماري فاسيليفنا : لعله يُغازل كاتنكا ولا يغازل ليوبوتشكا . أرأيتِ كم تُخطئين .

المربية : أتحسبينني إذنْ حمقاء ؟ كأني سأصدّقُكِ . وهناك ما يُغري بتصديقك ! كاترين ما تفيفنا صالحة للتسلية . وعندما كانت مربّية في بطرسبورغ كانت تذهبُ إلى بيته ، أمّا أن يتزوجها فهو يعلم مَنْ التي سيكون لها مهرٌ ، ومَنْ التي لن يكون لها .

ماري فاسيليفنا : كاتنكا كانت تصادفُه في بطرسبرج . أنتِ ترَيْن السوء حيثما تطلّعتِ .

المربية : الأمر كذلك ، يا صديقتي ، تبدأ الفتاة بالعمل مربّيةً ، ثم تنتهي بأن تعجز عن تربية نفسها . هذا حق . وهذه هي حال كاترين ماتفيفنا .

ماري فاسيليفنا ، **مبتسمةً** : كفى حماقات .

المربية : إني أرى ، على كل حال ، أن كل شيء تغيّر في المنزل .

ماري فاسيليفنا : إذن ، أنا أيضاً تغيّرتُ ؟ يا لهذا الغباء !

المربية : أنتِ ، تغيركِ ليس شيئاً ، هو كرم نفسٍ منكِ . فقط . أمّا السيدُ فأمره لا يُفهم . . . (تَسكتُ ، وتهزّ رأسها وتباعد ما بين ذراعيها) . ما الذي أمكنَ أن يقع له ؟ لم يَعد الرجل نفسه . وأنا أتذكّر : هل كان يمرّ يومٌ قديماً دون أن يُجلَد فيه ساشكا الخادمُ وهو يُلبسه ؟ هل من كبير قريةٍ لم يُجلَدْ ؟ . . .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تقولين أشياء غريبة . . . أنتِ ترين إذن أن تلك الحالة كانت حسنة ؟ لم تكن حسنةً على الإطلاق .

المربية : لا أمدح ولا أذمّ . كنتم السادةَ ، ولا يمكن التصرف بطريقة أخرى . وما يدُهشني هو أن يستطيع إنسانٌ في الخمسين تغييرَ طبعه . . . عندما صدرَ قانون القيصر ... كما تعلمين ، في الأسبوع الأول من الصَوْم الكبير .

ماري فاسيليفنا : نعم ، البيان(١) ؛ ما أسخفكِ !

المربية مغتاظةً : طبعاً ، قانون طَرْد الخدم الأقنان من أجل خدماتهم ، كيف لا تعرفينه ! على كل حال ، دَعينا منه . ماذا كنت أريد أن أقول ؟ منذ ذلك الوقت طرأ التغيّر . وخاصة منذ أن أخذ آناتول دميتريفتش يتردّدُ على المنزل . سمعتُه يتكلم مؤخّراً — هو مُقْرِف ! يجب أن تعذريني ، فأنا أقول لك الحقيقة دائماً . في الخمسين ، لا يمكن للإنسان أن يُغيّر طبعه : ولم يتوصل السيدُ إلا إلى فقدان وقاره . لقد فعل ذلك لينال إعجابَ الناس ، وظلّ طبعُه كما هو . وماذا فعل ، في ذلك المساء ، أمام أناتول دميتريفيتش ؟ أخذ يُرشِدُ مَنْ ؟ الفلاح سيريل . « أنتم — لسيريل يقول أنتم — أنتم إذا شئتم أن تأتوا فتعالوا حينئذٍ » . استمعتُ إليه : ما هذا ؟ كأنه كان يكلّم أميراً . إن هذا لمُقْرِف .

---

(١) نعم ، البيان : بيان ١٩ شباط ١٨٦١ الذي يعلن إلغاء القنانة لم يعلن عنه إلا في أول اذار ، في الأسبوع الأول من الصوم الكبير .

المشهد — ٢ —

« المرأتان ، كاترين ماتفيفنا » .

المربّية : انظري كيف رتّبتْ نفسها ، الحلوةُ .

كاترين ماتفيفنا ، بالنظارة ، قصيرة الشعر ، ترتدي فستاناً قصيراً ، وتحت ذراعها مجلةٌ ، تجلس إلى الطاولة دون أن تحيّي ، وتتكيء على مرفقها ، تخرج سيجارة وتبدأ بالقراءة . وتخاطب المربية بلطفٍ خاص : اسمحي لي أن أطلبَ منك شاياً ، يا ماري ايسايفنا .

(تقدّم لها المربية فنجانا من الشاي) .

المربية : على الفور ، يا آنسة ، على الفور . (بينها وبين نفسها) . هذا جدير بأن يُدهش جميع الناس . لا تقول حتى صباح الخير لزوجة عمّها . كل هذا من جرّاء ذكائها الزائد .

ماري فاسيليفنا : تحدّثنا عن آنا تول ميتريفتش . نيانا تزعم انه يُغازل ليوبوتشكا ، وانا قلتُ انه يُغازلكِ انتِ ، يا كاتنكا . **ما اعتقادُكِ** . لقد دَعَتْهُ خطيبها .

كاترين ماتفيفنا ، ترفع عينيها عن الكتاب ، وتقول بقسوة ، مُكمّلةً كلماتها بالإشارة : إن فينيروفسكي ، بسبب تطوّره وبسبب مفاهيمه بعيدٌ جداً عن تفاهة حياتنا حتى ليَصْعُب الحكمُ عليه .

ماري فاسيليفنا : اتظنّين أنه لن يستمرّ حتى الزواج ؟

كاترين ماتفيفنا : عفواً . هذا السيدُ لن يتزوّج إلا عندما يجد امرأة تفهم تماماً مقاصده ، وتكون حرةً في حياتها وفي فكرها .

ماري فاسيليفنا : لا أسألُ عن هذا ، لكن قولي لي : في أيّ منكما يجد هذه المرأة : أنتِ أم ليوبوتشكا ؟ كنتُ أتحدّث عن ذلك قبل هنيهة مع نيانا — هي حمقاء وقد ضحكتُ كثيراً ...

كاترين ماتفيفنا : ماري ايسايفنا أكبر سناً منكِ وهي تخاطبك بضمير الجمع ، بينما تخاطبينها أنتِ بضمير المفرد ، وتسمّينها « حمقاء » . وأنا أعتبر هذا « إهانة » للكرامة والحرية الإنسانيتين . وأرى من الضروري أن أعبرّ لك عن رأيي . وأنا أعلم أن لك الحق في أن تكون لك قناعاتُكِ الخاصة ، لكن ذلك يثير اشمئزازي وسخطي .

المربية ، ساخرةً : شكراً جزيلاً على دفاعك عني . (مخاطبةً ماري فاسيليفنا) . ولا سيما أنك قادرة على سلخ الناس وهم أحياء . أنتِ مجرمةٌ معروفةٌ . . .

ماري فاسيليفنا : كلا ، يا كاتنكا ، **أنا أمزح** ، ماذا ، أنا أحبّها كثيراً . قولي لي بالأحرى ، ما رأيك . . . فيمنْ يبحث عنها ؟ فيكِ أم في ليوبوتشكا ؟ **أودّ لو أعرف رأيكِ** .

كاترين ماتفيفنا : رأيي ؟ (ترد شعرها إلى الوراء وتُشعل سيجارةً) . رأيي أنه لا يجوز له أن يبحث عنها فيّ بحسب تعبيرك المجازي . فأنا أعيش كما تعيش المرأةُ الحرةُ ، وأعامله ، كما أعامل جميع المخلوقات ، دون تمييز للجنس أو الطبقة . وأجده رجلاً ذكياً وعصرياً ، وهو يُدخل ، بشكل

طبيعي جداً ، في علاقاته معي ، شيئاً من التقدير والمودّة ، شيئاً يصح أن نقول عنه ...وبكلمة واحدة،إن بيننا علاقات حسنة وبسيطة قائمة على التقدير المتبادل،وهو يجدُ الراحةَ بقربي بعد تفاهة الطغمة الأرستقراطية التي تؤلّف المجتمع النسائي في حكومتنا ، وهو المجتمع الذي يُضطَرّ إلى الاختلاط به . لكن لماذا تعتقدين ، أنه يبحث عن شيء ما في ليوبوف ايفانوفنا ، بحسب تعبيرك المجازي ؟ هذا ما لم أستطع أن أتبيّنه . فليوبوف امرأة لم تتطوّر تطوّراً كافياً ، بل إنها بنتٌ صغيرةٌ لم تتطوّر على الإطلاق ، وشخصيةٌ مثل فينيروفسكي لا يمكن أن يكون بينه وبينها شيءٌ مشترك . أنا ندلّه بينما ليوبا ولد .

ماري فاسيليفنا: أنتِ تَرَيْن جيدا ، يانيانا ، كيف تَحكُم كاتنكا على الأمور .

المربية : ايه ! قولي لنا ، يا كاترين ماتفيفنا ، فنحن غبيّتان ، اشرحي لنا ، هل سيستمرّ إذن في التردّد على المنزل ؟

كاترين ماتفيفنا : ولمَ يَنْقطع عن المجيء ؟

المربية : لأن الناس الذين مثله يجب أن يُرَبّوا ، من أجل هذه الأشياء . كذلك كان يُفْعَلُ قديماً . إذا كنتَ تتردّد على منزلٍ فيه آنستان صالحتان للزواج فيجب أن تقول أيّهما تَبْغي ؛ وإلا فهناك نوادٍ تستطيع أن تتردّد عليها وأن تذهب إليها كلما أردت .

كاترين ماتفيفنا : لا يمكنك فهمي ، يا ماري إيسايفنا — قلتُ لك إنه يأتي إليّ ، لأن كلاً منا يختبر الآخر ، فاذا وجدْنا ...

المربية : لن يختبر شيئاً ، يا كاترين ماتفيفنا ، بحسب رأيي الأحمق . إن ليوبوف ايفانوفنا آنسةٌ شابةٌ وحلوةٌ ولها مهرٌ من خمس مئة نفس(١) . بينما أنتِ أكبر سناً ، والثلاثون نفساً التي تملكينها لا تغري . . . أما الطالبُ ، فنعم .

كاترين ماتفيفنا ، بحرارة: اسمحي لي ، اسمحي لي ، الطالب أصغر وأقلّ تطوّراً من أن يصلح لي : اسمحي لي : إن امرأةً أخرى غيري يمكن أن تشعر بالإهانة ، لكني أنا فوق ذلك . وليوبوف ايفانوفنا مع تطلّباتها الصبيانية من الحياة ليست في مستواه ، وهو يعلم ذلك ، وقد عبّر لي عن رأيه أكثر من مرة ، ثم إنك تنظرين إلى الأمر من وجهة نظرٍ خاطئة . لن تفهميني ، لكني سأوضح لك رأيي مع ذلك ، وبأبسط صورة ممكنة . الناس الذين من طينتنا لا يرتضون إلا وسائل العيش التي تُكتَسبُ بالعمل الشخصي والشريف ؛وصدّقيني أن الناس الذين من طينتنا يرون في جميع هذه الملكيات الريفية رابطاً ظاهراً يربطهم بأشكال الحياة البالية . ولا يهمّ فينيروفسكي أن أملك مليوناً أو لا أملك شيئاً إذا كانت مفاهيمنا واحدةً . فاذا كانت واحدةً استطعنا بشجاعةٍ أن نبدأ النضال .

---

(١) خمس مئة نفس : أي مكلية يبلغ عدد أقنانها خمس مئة . ومع أن القنانة ألغيت إلا أن المربية ما زالت تستخدم مقياس التقدير القديم .

المربّية : ومع ذلك ، فلن يطلبكِ أنت للزواج ، وإنما سيطلب ليوبوف إيفافوفنا . وستكون المفاهيمُ واحدةً تماماً إنْ كان هناك خمسُ مئة نفس ، أما إن لم يكن هناك غيرُ ثلاثين ، فهي ليست واحدةً على الإطلاق .

كاترين ماتفيفنا ، مُهتاجةً: اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . تقولين إنني أملك ثلاثين نفسا . اسمحي لي أن أقول لك : لا أحد يملك أنفساً اليوم ، وذلك بفضل الحضارة ، وأنا لا أملك شيئاً منها . تخلّيتُ عن حقوقي ، منذ بلوغي سن الرشد ، ولستُ أحملُ في نفسي علامةَ القنانة المخجلة .

المربية : وبالرغم من كل شيء فلن يأخذك ، بل سيَطْلبُ ليوبوتشكا لأنّ . . .

ماري فاسيلييفنا : مرتعبة : كفى ، نيانا ، كم أنتِ كريهة ! تُخرجين أيّاً كان عن طوره .

كاترين ماتفيفنا : اسمحي لي ، اسمحي لي . حسنٌ جداً . إن ذلك كله يبدو لك صعباً ومشوشاً ، ففي رأسك أزواجٌ مُعَدّون سلفاً ، وسلطةُ الله ، وهلم جراً ، في حين أن حياةَ الناس الذين ارتفعوا فوق تلك الاحكام الاجتماعية المسبقة والواهية ، بسيطة جداً . إني أعبّر له عن أفكاري وأطلبُ منه ذلك الصدق الذي يوجد في أساس جميع دوافع الشخصية الشريفة.

المربية : يا كاترين ماتفيفنا ، يا صديقتي ، إنّ ليوبوف ايفانوفنا تملك خمس مئة نفس ، ولعله سيُغْرَم بها فوق ذلك كله .

كاترين ماتفيفنا ، مضطربة كلّياً : ولمَ يُغْرَم بُبنيّة تافهة وغير مثقّفة ، لابي ؟

المربية : لمَ ؟ من أجل مَلِكِ بروسيا ، يا صديقتي .

كاترين ماتفيفنا ، مستدركةً وزادةً شعرها : لا ، ماذا أقول ؟ الحبُّ ، كما تَفْهمينه جاذبية جسدية ، وأنتِ أقل تطوّراً وأكثر حيوانيةً من أن تفهميني . إذا شئتِ ، أوجوك ، دَعيني .

(تتكىء بمرفقها وتقرأ) .

ماري فاسيلييفنا : اذهبي ، اذهبي ، يانيانا ؛ إن جاء أحدٌ فسوف أضيف الماءَ إلى الغلاّية بنفسي .

المربية ، منصرفةً : لقد شتمتِ الناس جميعاً . الناس كلهم حيوانات. أنا أخدم هنا منذ ثلاثين سنة ، ولم يسمّني أحدٌ بهذاالاسم .

كاترين ماتفيفنا ، رافعةً رأسها : اسمحي لي ، الحبُّ يشكّل دافعاً شريفاً فقط عندما يكون للطرفين حقوقٌ متساوية ، لكنكم لن تستطيعوا فهمَ ذلك . (صمت ، ترفع رأسها ثانيةً) . ماري فاسيلييفنا ، أنا لا أحترمُ هذه المرأة .

(تستأنف قراءتها) .

المشهد — ٣ —

« يدخل ايفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : ما الأمرُ ، مَنْ الذي لا تحترمينه ؟

ماري فاسيليفنا : نيانا هي الّتي تقول الغباوات دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذه سم حقيقي ، لكنها امرأة طيّبة . (يجلس إلى الطاولة) . أعطني شاياً ، يا ماري فاسيليفنا ... بتّ في الحقل منذ الساعة الخامسة ، أنهكتُ جوادين . . . لكنّ كل شيء سُوِّيَ . . . وما يزال الناسُ يقولون : إنه لا يمكن أن يفعل شيئاً مع العمال الأحرار . يمكننا أن نفعل كل شيء إذا ما اشتغلْنا بأنفسنا دون أن نراعي صحتنا. أمس بالذات كان نصفُ الحقول غير محروث ، ولم يكن العشب محصوداً ، ولم يكنْ عندي عاملٌ واحدٌ . وما ان وضعتُ يدي في العمل ، حتى أقنعتُ جميع رجالي القدماء ، فشغّلْتُ رجالاً أحراراً ووعدتهم بسطلٍ من الفودكا . انظري الآن كيف يتقدّم العمل . . . فاسيلي مدير ناجح للعمل ، منظم ، خدومٌ ، خدومٌ جداً . . .

كاترين ماتفيفنا : العملُ الحرّ لا يمكن أن يكون مُخْسراً ، وإلا لكان مناقضاً للقوانين الأساسية في الاقتصاد السياسي .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ولا . أودّ لو أعهدُ بهذا العمل إلى آناتول دميتريفتش وأنتِ . . لسوف يختلفُ كلامكما .

ماري فاسيليفنا : **قلْ لي، يا عزيزي جان** ، لماذا تقول إذن : إن تحرير الفلاحين قد حسّنَ الأشياء ؟ أين التحسّنُ إذا كانوا قد ذهبوا جميعاً .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! لكن هؤلاء هم الخدم .

ماري فاسيليفنا : الخدم ، أعرف ذلك . لا خلاف في ذلك . لكن الفلاحين ، منذ البيان ، لم يزدْ عملُهم . فأين الجانبُ الحَسَنُ ؟ لم أفهمْ ذلك .

ايفان ميخايلوفتش : شرحتُ لكِ خمسين مرةً إن لم يكن مئة مرة ، أنهم يجب أن يشتغلوا ، بحسب هذا القانون ، بعض الأيام ، وألا يكون شغلُهم بدون توقّف . هذا هو الشيء الأساسي .

ماري فاسيليفنا : كان يُقال مع ذلك أنهم قد توقّفوا كليّاً عن العمل . وكان الناس يروون ، في الأيام الأخيرة ، أنهم أُرسلوا إلى العمل ، فأبوْا أن يذهبوا . لستُ أفهم ، يا جان .

ايفان ميخايلوفتش : لو لم يعملوا لما كان عندنا ما نأكله . إنهم يشتغلون أقل من ذي قبل . وبالمقابل ، فكل شيء يتم وفق أشكال الشرعية لا التعسّف . على كل حال ، لا يمكنك أن تفهمي ذلك .

ماري فاسيليفنا : ما الحَسَنُ إن عملوا أقل ؟ وإذن فليس ذلك حسنةً . لكنْ لا تغضبْ ، إني لا أستطيع أن أفهم ، بالفعل .

ايفان ميخايلوفتش : لمَ أغضب ؟ لعل القدر هو الذي شاء ألاّ تفهمي شيئاً . (يشرب شايه ويغدو متفكّراً) . وليوبا ، أين هي ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبتْ مبكّرة مع الصغيرات تبحث عن الفطور .

ايفان ميخايلوفيتش : وأناتول دميتريفتش لم يأتِ ولم يُرسلْ أحداً ؟

ماري فاسيليفنا : لا ، لم يأتِ بعد . . . كنت أريد أن أكلمك . قبل

لي ما جان : إنه ينوي أن يُصارح ليوبا بعَرْضه ، إنه ينوي أن يطابها للزواج . . .

ايفان ميخايلوفيش : مَنْ قال لك ذلك ؟

ماري فاسيليفنا : **يُقال هذا** ، نعم ، يقال هذا .

ايفان ميخايلوفتش : من الذي يقوله ؟ أنت تظلّين بين أربعة جدران ، فمن الذي يمكن أن يقول هذا . وما أهميّة هذا ؟

ماري فاسيليفنا : اعلمْ أنك لا تَحْسب حساباً لي . لكنْ يبدو أن هذا الرجلَ سيّء . وما هذه الوظيفة في إدارة الخمور ؟ ثم إنه متبجّح ، على الخصوص . أرجوك أن تفكّر في ذلك ، **جان** .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَدْخل في هذا الرأس ؟ من أين استطعت أن تأخذي مثل هذه الكلمات . لا ، يا صديقتي ، دَعْك من هذه الحماقات . ما هذه الكلمة : « متبجّح » ، وممّنْ نقلتِ هذه الكلمة الغبيّة ؟

ماري فاسيليفنا : كل الناس يقولونها .

ايفان ميخايلوفتش : ما الذي لا يَخْطرُ ببالها ؟ من الذي روى لكِ ذلك كله . هيه ! يا صديقتي ، ليس لنا أن نَحْكم على هذا الرجل . ولا أعرف أباً لم يعتبرْ مصاهرته شرفاً له . على كل حال إني أكره أن أخمّن الأزواج تخميناً وأن أقرّبَ بينهم . ومهما يكنْ ذلك الرجلُ ، فان الله أرادة ، وليس لنا أن نأخذ في الكلام عليه . انه رجلٌ مَرْموقٌ ، كاتب . ولا ريب أنه لن يتزوّج من أجل المال . هذا مؤكّد .

ماري فاسيلييفنا : لا يُجادل في ذالك أحدٌ . **ولي رأيي** .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! اصغي : قبل كل شيء ، اناتول دميتريفتش رجلٌ عصري ، راقٍ ، ذو ذكاء وعلم خارقين ، وهو كاتب ، وشخصية ربما عرفتْها روسيا كلها . وهذا ، في عصرنا ، يا صديقتي ، أفضلُ من رتبة الجنرال . ثم إن عمله ممتاز وشريف ، في دائرة الرسوم الجديدة ، بِرتّب قدره ألفا روبل . ولو أن هذا الرجل أراد ، لا نفتح أمامه كل شيء . أما غرابة أطواره فشيء آخر . . . إنه ليس رجلَ مجتمعٍ ، لكننا ، على الأقل ، نثق بأنه مجرّد من المنفعة . فمثل هذا الرجل لا يتزوج من أجل المال . وكل فتاة تكون سعيدة معه ، حتى لو لم تكن تملك شيئاً .

ماري فاسيلييفنا : لكن يُقال إنه بخيل .

ايفان ميخايلوفتش : ها هي ذي تُعَبّأُ مرة أخرى . قلتُ لكِ انه الرجل الأكثر تجرّداً في الدنيا . هذا ثابت .

ماري فاسيلييفنا : لكنْ يُقال إنه قد حَسبَ مهر ليوتشكا كله .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، اشرحي لها إذن أن اناتول دميتريفتش ليس رجلاً من هذا النوع .

كاترين ماتفيفنا : ماري فاسيلييفنا وماري ايسايفنا لهما قناعاتهما الخاصة . يبدو لي غريباً فقط أن ننسبَ ، إلى الرجل مقاصدَ دنيئة ، دون أي أساسٍ ، ودون أي سبب محتمل . فهذا

السيّد يُبرهن بحياته كلّه أن هدفه الوحيد هو القضيّة العامة . وإذا نوى الزواج بامرأة ، فسيكون أول شرط يطرحُه هو الاستقلال المعنوي والاستقلال المادي على حدّ سواء .

ايفان ميخايلوفتش يغدو متفكّراً ، وقفة : نعم ، فمع أنه من الصعب علينا ، نحن الشيوخ ، تغيير عاداتنا القديمة ، ومع أن في الشبابَ كثيراً من الهوى والخفّة ، إلا أنه من المستحيل ألا نُنْصف الجيل الجديد .

كاترين ماتفيفنا ، تاركةً الكتاب : حينْ كلّ ما عبّرتَ عنه ، هذه هي القناعة الوحيدة التي أشاطرك إياها . إن التقدّم يحمل النور بشكلٍ لا يُقاوم ، إلى أحلك ، زوايا الحياة .

ايفان ميخايلوفتش بعد لحظة صمت : نعم ، إن عصر العمل الحر قد جاء ، قد جاء . نحن نتعب مع العمال ، لكن لا أهمية لذلك ، سيُسوَّى كلُ شيء . . . انتظري قليلا ، سوف أحدّد شروط الاسترجاع(١) وسأتخلّص من الفلاحين ، ولن تبقى سوى العلاقات الزراعية . وسيكون ذلك حسناً حقاً ، نعم .

ماري فاسيليفنا : وهل ستتحسن الأمورُ بعد الاسترجاع ، **يا جان** ؟ ليتها تتحسن .

---

(١) أحدد شروط الاسترجاع : عندما تلقى الفلاحون الأراضي الصالحة للزراعة سنه ١٨٦١ أجبروا – حتى عام ١٩٠٧ – على دفع قيمة الاسترجاع للإقطاعي (نحو روبل بالهكتار كل عام) .

ايفان ميخايلوفتش : تتحسّ أم لا تتحسّن ، لا بدّ من ذلك . انظري إلى كاتتكا وانلتول دميتريفتش اللذين يعتبرانني محافظاً ورجعياً ؛ ومع ذلك فأنا أتعاطف مع كل شيء . إن الماضي يظهر حتماً في أفعالي ، لكنني أتعاطف مع ذلك . انظري إلى جيلنا الشاب الطالع . ستتزوج ليوبوتشكا ذاك أو غيره ، لكنها لن تتزوج رجلاً قديماً وإنما ستتزوج رجلاً جديداً ، عصرياً ، وبيتروشا (١) يكبرُ وسط أفكار مختلفة عن أفكارنا . أيمكن أن أكون عدواً لولديَّ . أين بيتيا ؟ لعله مع أستاذه ؟

ماري فاسيليفنا : ذهبا كلاهما إلى البحيرة يبحثان عن الأعشاب . ولم أفهمْ أيّها . أخشى أن يغرقا . أخشى حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : عن أي الأعشاب يبحثان ؟

كاترين ماتفيفنا : قال الكسي بافلوفيتش إنهما يريدان أن يدرسا بنيةَ ألياف الطحالب .

ايفان ميخايلوفتش : تصوّري ، أيّ عصر ! أكنتُ أملكُ فكرةً عن هذه الأشياء عندما كنتُ صبيّاً ؟ واليوم يدرس الغرُّ العلومَ الطبيعية . . . الخ . لقد وُفّقْنا بهذا الطالب ، فهو خدومٌ . . . الفضل لأناتول دميتريفتش الذي دلّنا عليه . طالب خدوم ، جدّاً د . . لطيـ . . خدوم .

---

(١) بيتروشا : بيتروشا وبيتيا تصغير بطرس ، بيير ، بيوتر ؛ وبيتروشا ، أو بيتيا : ابنه .

يا ساشكا(١) ! غليوني ! (مخاطباً كاترين ماتفيفنا) .
هذه عادة . حسناً ! الكسندر فاسيليتش(١) .
(يحمل ساشكا الغليون) .

ماري فاسيلييفنا ، تغضب فجأة: نعم ، كل الناس لطفاء عندك ما عدا زوجتك . ولماذا لا يحمل معه بياضاً ؟ لقد أعارتْهُ نيانا كلّ بياض الأسرّة المُعَدّ للزائرين . وإذا ما زارنا زائرٌ فليس عندنا ما نضعُه له . ما هذا ؟ لقد جاءنا بما عليه فقط . ولا أريد أن أعطيه أغطيتي . أهذا اعتقادك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها قد عادت تهذي . كُفّي ، من فضلك . قولي لنيانا أن ترتّب كل شيء . أنا مسرور أن يكون هذا الرجل عندي لأنه جِدّيّ .

ماري فاسيلييفنا : ماذا يهمّ إن كان جدّياً . ليست غلطتي إنْ كان لا يملك شيئاً ويطلب كل شيء . لقد أخذ يَهْوى شرب الحليب ، وقد اشتكت دونياشا . يجب أن تنتبه . ما هذا الأستاذ ، إن كان لا يملك بياضاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هي تنطلق من جديد . . . يجب أن تحمدي الله لأنه بعثَ إلينا مثل هذا الرجل ، وإذا كان فقيراً لا يملك بياضاً ، فيجب أن نُعطيه ذلك .

ماري فاسيلييفنا : أنت تفهم دائماً عكسَ ما أقول عندما أكلّمك . قلتُ إنك تعمل كل شيء بالمقلوب ، وأنا أعطف عليه

(١) ساشكا : تصغير أهلي لا لكسندر .. لقد وجدت ابنة الأخ أن هذه الطريقة في معاملة الخادم غير لائقة ، فما لبث بريبيشيف أن استخدم الاسم الرسمي : « الكسندر فاسيليتش».

أكثر منك . فمنذ أن أكل أول مرة على المائدة شفقتُ عليه . وأمرت باعطائه قمصاناً لليل . ومهما أكنْ غبيّةً فأنا أدرك أنه أول رجل في البيت ، باعتباره أستاذاً لابنتنا . لست آسفةً على شيء أخذْتَه . وأنا أقول لك فقط أن ترتّب كل شيء بنظام . كم مرةٍ رجوتُ فيها النجار أن يصلح رِجْلَ الطاولة مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : كفى ياصديقتي ، كفى ؛ بجاه المسيح .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم والطالب » .

الطالب ، يحيّي باقتضاب وهو داخل : شاياً ، من فضلك .

« يجلس قرب كاترين ماتفيفنا »

ماري فاسيلييفنا : ماذا تشتهي ، الكسي بافلوفتش ؟ شاياً أم قهوة ، مع الخبز الأبيض والزبدة ؛ على طلبك .

(تقرّب كل شيء إليه) .

الطالب : لا يهم . الشاي ، مثلاً .

ايفان ميخايلوفتش : وبيتروشكا ، أين هو ؟

الطالب : سيأتي . إنه يغيّر بنطاله لقد تبلّل . قمنا بصيد السمك .

ايفان ميخايلوفتش : قالت لنا كاتنكا أنكم كنتم تنوون دراسة شيء في العلوم الطبيعية . . .

الطالب : كنا ننْوي ذلك ، لكن بلا نتيجة ، لأننا لا نملك جذوراً .

ماري فاسيليفنا : كُلْ من الخبز الأبيض .

الطالب لكاترين ماتفيفنا : بأية قراءة تنشغلين لخير النفس ؟ (يأخذ كتابها) . آه ! علم وظائف الأعضاء . مقالة جيدة لكنها شديدة الإجمال . « لُويس »(١) هو الذي يجب أن تقرئيه . وأيضاً تحوّل الخلية — نسيتُ اسمَ المؤلّف — لابأس بهذه المقالة .

ماري فاسيليفنا : أتُسمّى خلايا ؟ زِدْ من الزبدة ، فسوف نأتي بقطعة أخرى . كاتنكا ، أتعرفين الخلايا ، أنتِ أيضاً ؟

كاترين ماتفيفنا : كل ما هو عضوي فهو موجود بفضل تطوّر أجزاء الخليّة لا غير .

الطالب : لمَ تقومين بشروحات لا فائدة منها ، لا بدّ على الأقل من المعارف الأولية لفهم هذه الأمور .

ايفان ميخايلوفتش : لقد قرأتُ كتباً عن الخلايا . قلْ لي فقط ، يا الكسي بافلوفتش ، أيمكن أن نراها في الخبز ، مثلاً ؟

الطالب : لو لم نرها لما ذكرها أحد . نراها بالمجهر .

ايفان ميخايلوفتش : هل هو غالٍ ، المجهر ؟

الطالب : يمكنُ أن نَحْصل على مجهر رديء بثمن رخيص . مجهر أناتول دميتريفتش ثمنُه ثلاث مئة روبل ، ومجهر الجامعة خمسة عشر ألفاً .

---

(١) لويس : جورج هنري لويس (١٨٠٧ — ١٨٧٨) عالم وضعي انكليزي . مؤلف : « فيزيولوجيا الحياة العادية » ، ودراسات حول الحياة الحيوانية » . كان مشهوراً جداً ، في روسيا ، في هذه الحقبة .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، لا بد من شراء واحد .

(يجلس مع زوجته على حدة ، ويجلس الطالبُ مع كاترين ماتفيفنا . ايفان ميخايلونتش يدخّن بصمت) .

كاترين ماتفيفنا ، بصوت خافت : فاتَكَ حضورُ مشهد محنق ، مشهد مزارعين مستغلين حقيقيين .

الطالب : اوه ! هم بحاجة إلى أن يهزؤوا من أمثالهم . هذا كل ما يُتْقنونه . وأنا أعترف لك أنني ضجرتُ من البقاء هنا ، وأنني أنوي أن أسافر من أجل التقدّم لنَيْل إجازتي .

كاترين ماتفيفنا : قناعتي مختلفة. فأنا أرى أنه كلّما كان المجتمع الذي نعمل فيه فظّاً وَجبَ بذل طاقة أكبر . إذْ ما الذي يستطيع أن يغيّر هذه الشروط الفظيعة غير الأفكار والبذور التي نحملها إليها . إني أعي تأثيري في هذا الوسط ، وأنا أمارسُه على قَدْر قواي . وأنت مدعوٌّ إلى رفع شخصية بطرس التي ما تزال غضّةً . وهو نفسه يحمل أفكاراً إلى هذا الوسط الخانق.وأناتول دميتّريفتش يرى الشيءَ نفسه .

الطالب : ليَغْربوا عني ! ينتهي المرءُ بالتاطّخ في هذا الوحل . ليَلْهُ المضطهدون الصفّاعون من جهتهم ، ونحن سنَلْهو من جهتنا . ولسنا نستطيع أن نحتجّ في كل لحظة ؛ نحس فقط أن سخطنا يتنامّم . انظري إلى الفلاحين ؛ إنهم يحرثون منذ الساعة الرابعة صباحاً ، والناسُ هنا يشربون الشاي حتى الظهر . كيف يجوز أن نتعوّد ذلك ؟

كاترين ماتفيفنا : بالتأكيد ، لكن لا بدّ مع ذلك من التنازلات . انظرْ مثلاً إلى فينيروفسكي : فهو إذ يعيش من عمله في وسطٍ متخلّفٍ جداً ، لا يُقْدم على أي تنازل في الحقيقة ، ويحقّق أفكاره .

الطالب : ماذا ، فينيروفسكي ؟ لا يمكنني أن أحترم رجلاً يخدم . يا له من ليبيرالي في دائرة الرسوم !

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . لن نصل ، في ذلك ، إلى وحدةٍ في التفكير . ففينيروفسكي طبيعةٌ ممتازة . انظر إلى نشاطه : المدارس ، والمحاضرات العامة .

الطالب : حسناً ! أستطيع أن أفرض الصمت على شفتيّ .

كاترين ماتفيفنا : وأنا أجد من المسلّي أن أستعيد الحديث الذي جرى بيني وبين العجوزين منذ لحظة . ما أسوأ فهمَ هؤلاء الناس للناس الذين من طينتنا ! تصوّرْ أنه لا يأتي إلى هنا ، برأيهم إلا ليتزوج ليوبوف ايفانوفنا أو مهرها ؛ بحسب تفسيرهم .

الطالب : هيه ! هذا « السينْيور » المحترم(١) يمكن أن يُقدِمَ على أي شيء مَقيت !

كاترين ماتفيفنا : تفيردينسكوي ، لا تتكلّمْ هكذا ، وإلا اختلفْنا . فينيروفسكي سيتزوج ! وبِمَنْ ؟

الطالب : حسناً ! سأعبّر لك عن فكرتي : إن ليوبوف ايفانوفنا بنتٌ ليست سيئة على الإطلاق . وفيها إمكانات . وإذا

---

(١) هذا السنيور المحترم : الطالب يستخدم الكلمة الإيطالية مسبغاً عليها لوناً تحقيرياً .

مالقيها رجلٌ غضّ الإهاب ، نقيّ وقوي ، فسوف يجعل منها شخصيةً مرموقة.الكنْ لا بدّلها من دليلٍ شاب ونزيه .

كاترين ماتفيفنا : لكنْ ، أيّ تطورّ ناقص !

الطالب : ستُكمّله فيما بعد .

كاترين ماتفيفنا ، بعد تفكير : نعم ، في الواقع ، أنا أشاطرك هذه القناعة . أنت بالضبط ذلك السيد الذي يستطيع أن يؤثّر في شخصيتها بنجاح .

الطالب : لو لم تكنْ في هذا الوسط الحقير لأمكن أن نجعل منها فتاةً رائعة .

المشهد ــ ٥ ــ

« بيتروشا ، فتى في الخامسة عشرة ، يدخل في ثياب الطالب » .

ماري فاسيلييفنا : آه ! ها هو ذا بطرس ! ماذا تُريدُ شاياً أم قهوة ؟

بيتروشا : صباح الخير ، يا أمي . لا هذا ولا ذاك . شربتُ حليباً . اطلبي لي الفطور ، يا أمي . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : مالَكَ ولهذا التصنع دائماً ؟ كُنْ أبسطَ ، مِنْ فضلك .

بيتروشا : أنت مخطىء حين تظنّني متصنعاً . صباح الخير ، يا أبي .

ايفان ميخايلوفتش : جُنِنْتَ . ما هذه الابتكارات الجديدة ؟ سلّمْ كما تسلّم عادةً . أتظنّ أن هذا هو التعلّم . اذهب والثُمْ يدَ أمك .

بيتروشا : لأية غاية ؟

ايفان ميخايلوفتش ، بقسوة : قلتُ لك الثم يدها .

بيتروشا : ما الدواعي ؟ وهل سيحدثُ شيء إذا ألصقتُ أطرافَ شفتي على الجزء الخارجي من معصم أمي ؟

ايفان ميخايلوفتش : قلتُ لك الثمْ يدها .

بيتروشا : هذا مناقضٌ لآرائي .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟

بيتروشا : تحدّثتُ عن ذلك مع الكسي باظوفيتش ورأيتُ بوضوح أن هذا ما هو إلا رأي مُسبق غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : انتبهْ ، يا صديقي !

بيتروشا : لكن هذا ليس شيئاً مهماً ، يا أبي ، وهو لا يُغيرّ رأيي فيك أو في أمي . وسواء ألثمتُ أيديكما أم لم ألثمها ، فأنا أكنّ لكما كليكما كلّ ما تستحقّانه من الاحترام .

ايفان ميخايلوفتش : اصغِ إلي ، كل هذا حسنٌ ، هذه القناعاتُ الجديدةُ وغيرها ، لكن لا بدّ من الاعتدال ، والقاعدة الأولى منذ العصور الغابرة هي احترام من هم أكبر سناً منّا . إذهبْ والثمْ يدها . (ينهض) أتذهب ؟

الطالب : أظنّ أننا سنشهد فضيحةً عظيمة .

بيتروشا ، **متخوّفاً** : بالطبع ، تستطيع أن تجبرني . لكن علاقات الإنسان الحرّة . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ أتذهب ؟

بيتروشا ، يلثم يدها ، بصوت خافت : الكرامة الإنسانية . . .

ماري فاسيليفنا : يجب أن تُطيع ، يا بطرس . ماذا تريد أن تُحضّر لك ، عجّة بيض أو سجق معلّاق ؟ سآمر لك بفطورك . نيانا ، فطور بطرس !

ايفان ميخايلوفتش : الكسي بافلوفتش ، مع أنك . . . اعذرني ، لكن . . . اسمح لي أن أقول لك : إنني طلبتُ منك أن تُعطي ابني دروساً لا أن تعلّمه كيف يعامل أبويه . إن لنا عادات ربما كانت مُستغربة وبالية . لكن أرجوك ألاّ تتدخّل فيها .

الطالب : هيه . . . هيه . . . حسناً !

ايفان ميخايلوفتش : هذا كل شيء ، لا تُعلّمه سوى الخلايا ، وأرجوك ألاّ تهتمّ بالطريقة التي يعاملنا بها ابننا ، وألاّ تُلقّنه شيئاً .

الطالب : يُدهشني أن أسمعك تبدي ملاحظاتك لي . ماذا تقصد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أقصد أن ابني لا ينبغي له أن يُلقي عليّ هذه الحماقات ، هذا كل شيء .

الطالب : حسناً ! تستطيع حتى أن تجلده ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغ ، لا تُخرجني عن طوري .

الطالب متخوّفاً : أنا أفهمُ هذا جيداً ، لكنْ صدّقني ، ما كنتُ لأشغل هذا المكان . . . ومع ذلك قلت ترغب في أن

أُطوّر ابنك . أنا ، أنا . . . لا أستطيع مع ذلك أن أخفي عنه قناعاتي .

كاترين ماتفيفنا : سيكون مستغرباً لو أهمل الكسي بافاوفتش استنتاجات العلم أو بدا كأنه يتجاهلها .

بيتروشا : ويمكن أيضاً أن تكون لي قناعاتي .

الطالب : ولا سيّما أن للحياة حقوقها وأن الآراءَ المسبقة لا تَصْمُد أمام نَقْد العقل والعلم .

كاترين ماتفيفنا : وخاصةً أن المفاهيم المتخلّفة لا يمكن أن تستمرّ ، نظراً للخطوة الهائلة التي خطتْها العلوم الطبيعية .

ايفان ميخايلوفتش : كفى ، دعونا من هذا . أرجو ابني أن يتصرّف كما أريد ، لا أكثر . (بعد لحظة صمت ، مخاطباً الطالب) . ألم أجرحْكَ ، يا الكسي بافاوفتش ؟

الطالب : إنني أجلّ كرامتي عن أن أعتبرها جريمةً . حان وقتُ العمل . هيّا سرْ ، بريبيشيف الفتى .

بيتروشا : لا ، أنا جوعان .

(يدخل ساشكا ومعه صينية) .

الطالب : حسناً ! لِنبقَ ، ولْنتغدّ .

(يقترب من الطعام) .

المشهد السادس

« ليوبوتشكا مشمّرةً فستانها ، وعلى رأسها قبّعة قش ، تدخل راكضة وخلفها بنتان ، تحمل سلة فطور » .

ليوبوتشكا : ماما العزيزة ، أتعلمين أني لم آتِ وحدي !

ماري فاسيلييفنا : ومَنْ معاكِ ؟

ايفان ميخايلوفتش : مع مَنْ إذن ؟

ليوبوتشكا : احزرا ! مع أناتول دميتريفتش . كنتُ ذاهبة مع البنات عندما وصل وتبعني . ما أجمل الفطورَ التي لقيناها ، في الوادي ، كما تعلمين ! فطور رائعة ، تحفة ! أناتول دميتريفتش لا يرى شيئاً ، ولم يعثر إلا على فطر سام . انظري إليها ، ما ألطفَها ! كاتنكا ، انظري ! ماشكا ، الفطور معاك ، أعطيهم إياها . (تأخذ السلة وتسحب الفطور منها) . وهذه الفطور الطحابية ، انظر يا ساشكا ، ما أكثرها . وأنتَ قاتَ لي إنه لا توجد فطور في ممرّ البتولة ! هل رأيتَها ، يا بابا ؟

ايفان ميخايلوفتش : لكن أين أناتول دميتريفتش ؟

ليوبوتشكا : إنه يُنظّف ثيابه . توسخّ حين وقعَ على ركبتيه ، وهي بيضاء . بابا ، أيّ حديث كان بيني وبينه ،مُدهش ! على كل حال ، سأحكيه لك وحدك .

ايفان ميخايلوفتش : ما هو ؟ ما هو ؟

ليوتشكا : مهمٌ جداً . لكن لا يمكن على الإطلاق أن أقول ذلك الآن . الأمرُ يخصّني . . .

ايفان ميخايلوفتش : ومع ذلك ، فأنتِ لا تُحسنين صنعاً حين تذهبين إلى الغابة لتحدّثي شاباً . . . صحيح أنه . . . لكنْ مع ذلك . . .

ليوبوتشكا : يا لها من فكرة متخلّفة ! أليس كذلك ، يا كاتنكا ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! وأنتِ أيضاً ! تعالي إليّ واحكي لي هذا الحديث الخطير .

ليوبوتشكا : غير ممكن الآن . انتظرْ ، ستعرفه . لا ، لكن انظري إلى هذه الفطيرة اللطيفة ، ماما . (تنتصب وتصطنع الكبرياء ، مقلّدة الفطير) . مثل أستاذنا كارل كارليتش ؟ الضخم القصير . آه ! كم أحسُّ أنني فرحة اليوم ! ساشكا ، غداً سنذهب باكراً .

ماري فاسيليفنا : تريدين إذن شاياً أو قهوة ، مع الخبز الأبيض ؟

ليوبوتشكا : ستُدهش كثيراً ، يا بابا ، من حديثنا ، وأنتِ أيضاً ، كاتيا ، وأنت . . . أنتم ، الكسي بافلوفتش . بيتروشكا ، أعطِني . . . ماذا تأكل ؟

(تخطف منه شوكته وتضع اللقمة في فمها . بيتروشكا مستغرقٌ في فطوره) .

كاترين ماتفيفنا ، للطالب : وهذه ندٌ لآناتول دميتريفتش ؟ يالنقص تطوّرها !

الطالب : هذا لا يمنع أنها بمظهرها وهيئتها فتاةٌ ممتازة وليست سيئة على الإطلاق .

ليوبوتشكا : ماما ، أأستطيع أن أعطيهما قطعة ؟ (تشير إلى البنتين وتعطي كلا منهما قطعة خبز وسكراً) . تعالا ، غداً ، باكراً .

ماري فاسيليفنا تصبّ لها الشاي : كلي قشدةً .

ليوبوتشكا : لستُ جائعة ، أخذتُ من ماشكا فطيرةً ، المبيدة ، تحفة ! (تجلس إلى الطاولة وعلى الفور) . نسيتُ أن أقبلك ، يا بابا . (تقبّله) يا فطري الأبيض العزيز ! فيمَ كنتما تتناقشان عندما دخلتُ ؟

ايفان ميخايلوفتش : هذا أخوك الذي اخترع أنه لا ينبغي أن يقبّل أباه ، بل يقول فقط : صباح الخير ، يا أبي ، صباح الخير ، يا أمي .

بيتروشا ، وهو يلوك : لم أخترعْ ذلك ، توصّلتُ إلى هذه القناعة .

ليوبوتشكا : ها — ها — ها ! يا لهذه الحماقات ! لا يفتؤون يخترعون أشياء جديدة .

ايفان ميخايلوفتش : وأنتِ تتنزهين على البدعة الجديدة مع شاب .

ليوبوتشكا : صه ! لا تهاجمني . سأذهب عن عمد مع شاب . الكسي بافلوفتش ، لنذهبْ غداً بحثاً عن الفطور .

الطالب : الواقع أن هذا ممكن التحقيق .

ليوبوتشكا : كلا ، لا أستطيع .

ماري فاسيليفنا: ربما أردتَ شيئاً من العجة ؟

الطالب : لا ، شكراً ، شبعتُ . حسناً ! وأنت ، يا بيوتر بيتروفيتش الشاب ، هل تغذّيتَ ؟ لنمشِ .

(يخرج الطالبُ وبيتروشا) .

المشهد – ٧ –

« الأشخاص أنفسهم ومدير الأعمال » .

ايفان ميخايلوفتش : هَهْ . . . ما بِكَ ؟

مدير الأعمال : بدأ الحصادُ في « كاميني » .

ايفان ميخايلوفيتش : كيف ذاك ؟ والأحرار ؟

مدير الأعمال : فلاحونا دفعوهم إلى ذلك ، حدثَ شجار . وضُرِب ما تريون حتى أدمي . وقد جاء ، وهو ينتظرُك في المكتب .

ليبوتشكا : نسيت أن أقول لك : إنه رهيب ، وكأنه أحد قُطاع الطارق . ماما ، لقد خفتُ كثيراً .

ايفان ميخايلوفتش : ولم هذا الشجار ؟

مدير الأعمال : وصل الحصادون وما كادوا يبدؤون حتى سارع إليهم ديومكين بالعصي الطويلة - وكان يحرث على مقربة – وقال لهم : « كيف تجرؤون على حصاد حقول سيدنا ؟ وقد شذبناها نحن . أنتم خبثاء لأنكم تخفضون من أجرتنا . أتحصد الفدان بروبل ! كان سيعطينا روبلين إذا دعت الحاجةُ . وإلا لرعينا كل شيء بخيولنا » . وأخذ يمسك بهم . وفي الوقت نفسه هُرِع الفلاحون من الحقول وضربوا الأحرار حتى أدموهم .

ليوبوتشكا : رأسُه مدمّى إلى هنا . هو مرعب .

ايفان ميخايلوفتش : وأين كانت عيناك . فهذا يخصّك .وكبير القرية ؟

مدير الأعمال : سافر إلى رئيس المنطقة .

ايفان ميخايلوفتش : جيد ، جيد !

مدير الأعمال : هيه ! ماذا تريد أن نفعل ، يا ايفان ميخايلوفتش ؟ فمن المستحيل العمل مع هؤلاء الناس . في هذه الليلة ، سرقوا حبلين ، وأرادوا نهبَ عَجَلَتين مغلّفتين بالحديد ، ومن حسن الحظ أنني رأيتُ ذلك . كم مرة قلتُ إنه يجب إغلاقُ كل شيء ، فلم أُطَعْ . ومع هذا فأنا المسؤول عن ذلك . أعتقد أنني لم أدخّر جهداً ولم أحرصْ على صحتي . فتفضّلْ واصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش ماذا تقول ، يا صديقي ؟

مدير الأعمال : نعم ، تفضّلْ علي بذلك . إن شئتَ ، فلم أعدْ أطيق .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا تقول ؟ لعلك تمزح ؟ أيمكن ذلك ونحن في غمرة أعمالنا ؟

مدير الأعمال : الأمرُ لك ، ايفان ميخايلوفتش ، لكنني أصبحتُ عاجزاً عن خدمتك . لقد اجتهدتُ غاية اجتهادي ، ولا يثمر الاجتهاد شيئاً مع هؤلاء الناس . اصرفْني من العمل .

ايفان ميخايلوفتش : اذهبْ بعد ذلك واشتغل بالزراعة ! (يذرع الغرفة ، منفعلاً ، ثم يقف أمام مدير الأعمال) . ما أنت إلا شخصٌ قذر . أتعتقد إذنْ أنه يمكن تعقيد كل شيء ، وتلويث كل شيء ، ثم الانصراف والأعمالُ في أشدّها ؟

مدير الأعمال : وما العمل ؟

ايفان ميخايلوفتش : اخرجْ من هنا ! لا أريد أن أوسّخ يدي . ولولا ذلك . . . لا ، لكن هذا لصوصيةٌ . الشيطان يعرف خفاياها !

« يمشي » .

ماري فاسيلييّنا : قلتُ لك أنهم سيتركوننا جميعاً الآن .

ليوبوتشكا : ينبغي لك أن تستخدم العمل الحرّ ، يا بابا ، يقول آناتول دميتّريفتش : إن هذا أفضل .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني . هم يهذون دون أن يعلموا ما يقولون . اود أن أغطّي عيني وأهرب . كل شيء مهمل ، مختلٌ ؛ شاعتَ السرقةُ ولا أحدَ يعمل . الصبيان يؤدبون أهلهم . لقد جُنّ الناسُ جميعاً . يا له من تقدّم حاوٍ !

كاترين ماتفيفنا : ها هنا ، في رأيي ، أسبابٌ عميقة تكمن في تنظيم الحياة الشعبية .

ايفان ميخايلوفتش : دعوني وشأني بجاه المسيح . إذنْ ، هل ستبقى ؟ أرجوك أن تبقى . وافهمْ انني لا أستطيع ، في الوقت الحاضر ، أن أجد من يحلّ محلّك .

مدير الأعمال : مستحيل ، يا سيدي ، فان لي عملاً آخر .

ايفان ميخايلوفتش ، غاضباً : طيب ، تظن أنك ستتخلّص مني هكذا ؟ أيها اللص ! طيبٌ . والشرطة ؟

مدير الأعمال : لن تجرؤ ، لقد مضى ذلك الوقت .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا أجرؤ؟

(يمسكه بقبّته) .

ماري فاسيليفنا، واثبةً على قدميها : **جان !** ايفان ميخايلوفتش ، ماذا تفعل ؟ ارحمني !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، سأصفّي حسابك على طريقتي . تعال ، يا نذل .

(يقوده إلى الباب) .

المشهد – ٨ –

« يدخل فينيروفسكي »

فينيروفسكي : ها أنذا ، جئتُ لأراكم . ارفعْ يدك !

ايفان ميخايلوفتش : لا ، هذا مستحيل . ما العمل ؟

فينيروفسكي : ماذا جرى عندكم ؟ أشياء يومية ؟ شَغْلة حلوة ! هيه ! هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : أعيتْني الحيلُ . . . هذا رجلٌ غمَرْتُه بإحساني ، وأعْتَقْتُه قبل البيان ، وأعطيتُه الأرض . وكان يدير أملاكي ، وها هو الآن ، وفجأة ، وبدون أدنى سبب . . .

فينيروفسكي : لا يريد أن يستمرّ في خدمته ؟ هيه ! هيه ! طبعاً ! هذا شيء معروف . وأنت تودّ أن تضربه ، وأن تنكّل به ، وأن تحرقه بنار بطيئة ، لكن هذا ممنوع . وما حياتُنا في ذلك ؟ هذا هو الجانب السيء من العمل الحر .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ، لا ردّه الله ! اذهبْ وسلّمْ كبير القرية كلّ شيء . سآتي بنفسي .

(مدير الأعمال ينصرف) .

فينيروفسكي : قسماً ، أنا معجبٌ باك ، يا ايفان ميخايلوفتش ، لأناك تتحكمّ بنفساك هذا التحكمّ . هذه قوة . نعم ، قوة . وما زالوا يدعوناك رجعياً ، هيه ! هيه !

ماري فاسيليفنا : أتريد شاياً أو قهوة ، مع القشطة ، هذا هو الخبز الأبيض والزبدة .

فينيروفسكي : **شكراً** . على العموم ، كيف يسير العملُ الحر ؟ عندما وصلتُ إلى هنا ، رأيتُ أن العمل يتقدّم بسرعة . هيه ! هيه ! هل هو مُرْضٍ ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دعْني من هذا الموضوع ! لابأس . . . لكنّ مثل هذه المتاعب . . . وأنتَ ، كيف حالُكَ ؟

فينيروفسكي : نحن ، لابأس ، نعمل بأناة . كل هذا الوحل الريفي يضايق ويخنق ، لكننا نناضل جهد المستطاع .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، نعم .

فينيروفسكي : نحن نتقدّم دائماً . وهكذا افتتحْنا أمس مدرسةً لأطفال الصنّاع . حصلنا على مكان وعلى كل شيء ؛ وجمعْنا ، بطريقةٍ ما ، شيئاً من المال من التجار ، لشراء الكتب ؛ وهي تسير سيراً حسناً . تعال وزُرها ذات يوم أنت وليوبوف ايفانوفنا . هي مثيرة للاهتمام .

ايفان ميخايلوفتش : هذا نشاطٌ يَبْعثُ على الرضا . والمحاضرةُ الأخرى التي ستُلقيها ، متى موعدُها ؟

فينيروفسكي : لم يَبْقَ لي ، مع الأسف ، وقتٌ ، فعَملي يَسْتأثر بي دائماً . إن أصحاب معامل التقطير غشّاشون . . ومنذ يومين ، لقطتُ واحداً منهم . عرضَ عليّ ثلاثة آلاف روبل رشوةً . هيه ! هيه ! أناسٌ سخيفون لا يجوز أن نجرحَ منهم . ما العمل ، كأنهم يتكلّمون لغةً أخرى . هيه ! هيه ! . . . تعال إذنْ ذات يوم لزيارة المدرسة أنتَ وليوبوف إيفانوفنا . نعم ، الأمرُ هكذا : نعمل ، ونعمل ، ثم ننظر حولنا ونحسّ أن هذا الوسط يغدو مع ذلك أكثر نبلاً . يكرهونني — هيه ! هيه ! — لكن ماذا يهمّني من ذلك ؟ أحبُّ أن يكرهوني . هذه علامةُ قوة — هيه ! هيه ! أما أنا فلا أكره ، أنا أحتقر .

ايفان ميخايلوفتش : لكن ماذا حدثَ في ناديكم ؟

فينيروفسكي : لُقِطَ غشاشٌ : رئيسُ النادي الذي أراد أن يسرق المالَ من الصندوق ، لكنه فوجىءَ وأُسقِطَ في يده . كل هؤلاء الناس نصّابون ، هيه ! هيه ! ومن البديهي حينئذٍ أن نبتهج حين نرى أن أفكار التقدم — ولو بعضاً منها — أخذتْ تَنْفذ إلى هذه الرؤوس القاسية مع الشعور بالشرف وبالعواطف الإنسانية . نعم ، مهما تقلْ ، فان شخصاً واحداً شريفاً فقط يستطيع أن يفعل كثيراً من الأشياء . وهكذا تراني أفكّر في نفسي — وليس لي أن أتصنّع التواضع ، هيه ! هيه !

ايفان ميخايلوفتش : على كل حال ، كيف نتّهم الناس إذا فكّرنا في التربية التي تربّوها ؟

فينيروفسكي : عندي شيءٌ شخصي أحبّ أن أقوله لكَ . (يأخذ ايفان ميخايلوفتش على حدة) . مهما عشْنا من أجل القضيّة العامة ، فنحن مُضطرّون إلى أن نفكرّ أحياناً في أنفسنا ، لأن الشعور بالأنانية موجودٌ في كل إنسان . ومع أن تلك الحالة قلما تصيبني ، فهي حالتي في هذه المرة . . . ولست أدري كيف أقولها لك . فقد فقدتُ حقّاً عادةَ التفكير في مصالحي الخاصة . (يبتسم) . هذا مضحكٌ حقاً .

ايفان ميخايلوفتش : وما بكَ ؟ لعلك بحاجة إلى المال ؟ أنا مستعدٌ دائماً ، بحسب قدراتي . . .

فينيروفسكي : لا . أعلم أنك لا تحبّني ،لكن ماالعمل ؟ إنما القوةُ فينا . ويجب أن يُحْسَبَ لنا ألفُ حساب .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ عمّ تتكلّم ؟ أظنّني حزرتُ . . . لكن هذا شيءٌ له . . .

فينيروفسكي : حسناً ! إن حزرتَ فأعطِني إذن ابنتَك ، أرجوك ، هذا أبسط ما يمكن . . .

ايفان ميخايلوفتش : **بلهجة ارتسامية** ، طلبُكَ ، يا أناتول دميتّريفتش ، يسرّني . لقد كوّنتُ عنك أحسنَ فكرة . ومسعاكَ هذا يؤيّد رأيي . فأنت تتصرّف حقاً كما يتصرّف الرجل الشريف . وأنت لم تتردّدْ على بيتي دون أن يكون لك هدف . ولم تُسيءْ إلى سمعة فتاة ؛ ثم إنك فعلتَ ما يفعلُه الرجلُ

النبيلُ حقاً ، فلم تَسْمحْ لنفساك بتكديرها وتَوَجّهت أولاً إلى أبيها . وهذه سمةٌ رفيعةٌ إلى حد كبير .

فينيروفسكي : هيه ! الأمر مختلفٌ قليلاً ، بحسب قناعتينا . هيه ! هيه ! فقد كلّمتُ بهذا الشأن ليوبوف ايفانوفنا التي ، هيه ! هيه ! وافقتْ .

ايفان ميخايلوفتش : هه . . . نعم . . . أنت تعلم ، طبعاً ، أنا أوافق على ذلك . . .

فينيروفسكي : أعتقدُ أن موافقة ماري فاسيليفنا . . . هيه ! هيه ! ... طبعاً . هناك شيءٌ واحدٌ فقط . أنت تعلم أنني ، برأيك ، شخصٌ غريب الأطوار ، هيه ! هيه ! . . . وأنا أفضل أن أتجنب كل تلك التهاني ، والقيل والقال . إني لا أستسيغ ذلك . . . وأود لو أرى أقلّ ما يمكن من هؤلاء الناس الذين أحتقرهم . ولذلك فمن الأفضل ترك الأمر كله سراً في الوقت الراهن، كل هذه الأساليب غبيّة ، أليس كذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : طيّب ، طيب . فهمت . والآن ، يا صهري المُقبل . . .

فينيروفسكي : ايفان ميخايلوفتش ، أنا دائماً أناتول دميتريفتش ، وأنت ايفان ميخايلوفتش . ما معنى : صهر وحمو ؟ لا جدوى من ذلك ، ولستُ أستسيغُه ، وهو ، على الخصوص ، شيء غبيّ .

ايفان ميخايلوفتش : بالتأكيد، لكن...حسناً! والآن أرى من الضروري أن أكلّمكَ عن ثروة ليوبوتشكا لسنا أغنياء، لكن . . .

فينيروفسكي : يا له من إيضاح ! . . . مالي وأثروتها ؟ ثروتُها ملكُها ؛ وإذا كان لها ثروةٌ فهذا شيء حسن . إن من يَنْهَبُهم الرجالَ ، ولو قليلاً ، ليس عليه إلا أن يرى نشاطي ويحكمُ عليّ تَبعاً له . وسأقول لك ما يَلْزمني . لي هدف واحد . فلهذه الفتاة طبيعة صالحةٌ ، وفيها إمكاناتٌ . لستُ مُغْرماً بها . وأنا أجهل هذه الحماقات . فبها إمكانات لكنها هي لم تتطوّرْ إلا قليلا ، قليلاً جداً . وأنا أشتهي شيئاً واحداً : أن أرفعَ مستواها إلى مستوانا ، وحينئذٍ سأقول : لقد أتممتُ عملاً أيضاً ، لكني أودّ ألاّ يزعجني أحدٌ في ذلك . وأنا أنبّهك على ذلك . قد يبدو لكَ ذلك غريباً ، لكننا ناسٌ حديثون ، وما يبدو لك غريباً وصعباً سهلٌ علينا . فلا تكلّم إذنْ أحداً عن ذلك قبل مطلع آب ، وستتمّ القضية على أحسن ما يرام .

(يشدّ على يده ، فيشدّ ايفان ميخايلوفتش على يده أيضاً ، طويلاً وبقوة) .

ايفان ميخايلوفتش : نهبتُ كل شيء ، كل شيء . اسمحْ لي أن أقبلك .

فينيروفسكي : لا ، هذا لا ، إذا شئتَ لا أستسيغ ذلك ، إلى اللقاء .

(ينصرف فينيروفسكي) .

ايفان ميخايلوفتش : إنه رجلٌ نبيلٌ ، حتماً . هذا هو العصر الجديد . غريب . لم أتعوّدْ ذلك بعد . لكن الحمد لله . الحمد لله !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« يمثّل المسرح غرفة عَزَبٍ لا نظام فيها ، في شقة فينيروفسكي »

المشهد — ١ —

فينيروفسكي ، وحده ، وصورتُه بين يديه : أنا أتزوّج ! إنه لمن الغباء ، وإنه لشيء مخيفٌ أن يرتبط الرجل إلى الأبد بامرأة أفسدَها وسطُها ولم تتطوّرْ إلا قليلاً . إنه لمن المخيف أن يبدّد الرجلُ قوّته وصفاءه في الصدام المستمرّ مع التفاهة والوحل . . . إلا أن ذلك يسرّ النفس . هناكَ كثير من الأشياء تسرّ النفس . الحياة المؤمّنة ، ثم إنها هي نفسها كامرأة . . . ليست رديئةً على الإطلاق . أستطيع أن أترك خدمتي ، وأهتم بالعمل الأدبي . وهي ، على الخصوص ، تسرّ النظر . كل هذا بديع . امرأة بديعة . . . قبّلتني بشيء من السرور . بل وبكثير من الاندفاع . وخُيِّل إليّ أيضاً أنني لم أكن أتوقّع ذلك . وبالفعل لم أكن أتوقّع ذلك . لمَ ذاك ؟ أيُّ خطأ غريب كنتُ أنمّيه بصدد نفسي !

كما أسأتُ فهمَ نفسي ! (ينظر إلى نفسه في المرآة) . نعم ، وجهٌ جميل ، ومظهرٌ لافتٌ للنظر . بل وجميل ، جميل جداً . نعم هذا هو ما يُسمّى الرجل الوسيم ؛ الرجل الجذّاب وذو المظهر اللافت للنظر كم يخطىءُ الإنسان في فهم نفسه ! وبأي رُعبٍ مضحكٍ كنتُ أدنو منها ! كان هناكَ ما يدعو إلى الخوف ! هيه ! هيه ! هيه ! كنت أظن أن مظهري ليس فاتناً ، وكنت أسعى إلى أن أعزّي نفسي . كنت أقول في نفسي : إذا لم أكن جذّاباً كالآخرين ، فأنا ذكي ، ومَنْ أذكى مني ، فيما أعلم ؟ ومَنْ يفهم الأشياءَ بدقة ويسر وعمقَ كفهمي لها؟ وكنت أقول في نفسي : حسناً ! إني لستُ جميلاً ، ولا أستطيع أن أباريَ هؤلاء السادة الجميلين الذين أراهم يمرّون في عرباتهم الجميلة ؛ لكنّ لي ، بالمقابل ،عقلاً واسعاً ، واستقامة ، وطبعاً متحرراً ، قوياً وصافياً . . . كل هذا يعوّضني تعويضاً كبيراً . هكذا كنتُ أعزّي نفسي . لا أعرف كيف أجلس في الصالونات ولا كيف أتحدّث الفرنسية كالآخرين ، وكنتُ أحسد هؤلاء السادة الذين ألفوا الصالونات . وبالمقابل ، فأنا متعلّم أكثر من أي إنسان . . . لأنني لا أعرف ، في الواقع ، أحداً يملك معرفة شاملةً وعميقةً كمعرفتي . وهل هناك علم لا أشعر فيه بالقدرة على القيام بالاكتشافات ؟ فقه اللغة، التاريخ . . . والعلوم الطبيعية ؟ أعرف كل شيءً ، وملكاتي ؟ كنتُ أقول في نفسي إن القدر يقسّم قسمته فيعطي البعضَ مثلي الذكاءَ والموهبة

والمرونة والقوة ؛ ويَهَبُ البعضَ الآخر مواهبَ تافهة : كالجمال ، والرشاقة ، واللطف ، فماذا رأيتُ في الواقع ، على حين غرّة ؟ رأيت أن الطبيعة لم تَقْسم قِسْمتَها ، وإنما جمعتْ ذلك كله في رجلٍ واحد . ذلك أني ، في بطرسبرج ، لم يتسن لي أن أجرّب قوتي مع النساء . . . من هذا النوع . وفي الوقت الحاضر ، انتهى الأمرُ ، في أفضل حلقات النبلاء وفي أتفهها ، حيث لا ينظرون إلا إلى المظهر الخارجي . لأن ليوبا لا يمكنها أن تفهم جوهر صفاتي . ففي هذه الحالة تُشْغَف بي امرأتان . نعم ، تُشْغَفُ بي . (باعتداد) آه ! أأنا بشع وأخرق ! . كم يجهل المرءُ نفسه ! من المضحك تذكّرُ ذلك . (ينظر إلى نفسه في المرآة) . أي عمقٍ ، وأي هدوء ، وأي نفاذٍ في التعبير ! نعم ، كان صعباً عليهما مقاومةَ تأثيري . إني أفهم ما الكائن القوي . نحن نغضّ من قَدْر أنفسنا دائماً ، بخلاف الرعاع الذين يحسنون الظنّ بأنفسهم . بينما ليس ، في الواقع ، رجلٌ أوفر مواهبَ مني ، ويَبْخَسُ ، في الوقت نفسه ، قَدْر صفاته الخاصة نعم . . . هذا واضح .

المشهد الثاني

« فينيروفسكي ؛ يدخل بيكليشوف ، رفيقه في الجامعة وهو اليوم موظف في قضاء الصلح(١) » .

---

(١) قضاء الصلح : كتبت هذه الملهاة في سنة ١٨٦٣ ولم يدخل قضاء الصلح إلا في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٦٤ . فهنا مفارقة تاريخية مردها إلى تنقيح لاحق .

بيكليشوف : آه ! يا أخي، لو ترى صيدنا الوفير اليوم ! ها ! ها !أنا عائد من الجلسة .

فينيروفسكي : جديرٌ بالثناء أن تتفرّغ لأعمال هذا الوجود . وما الذي أرسله الله إليكم ؟

بيكليشوف: قَمَعْنا ثلاثةَ ملاّك زراعيين ، بينهم امرأة وموظف مرتشٍ كل هذا في جلسة واحدة . يمكن القول : إنها لعبةٌ ممتازة .

فينيروفسكي : هذا حسن . هذا نافع لهم،ويسرّني أن أسمعه ؛ وأنت تجد فيه متعةً ؟

بيكليشوف: متعةً لا توصف ، يا صديقي . كيف لا ، وحياتي كلها تقوم على ذلك . ذاك هوايَ واختصاصي . أنتم المثاليون لا تعملون شيئاً سوى المحاكمة العقلية ، بينما نحن العمليون نفعل . وهكذا ، أتعلم لمَ أشارك في زواجك ؟ لا لأني رفيقكَ وصديقك وأني أرى فيه سعادتك . أبداً ، لا . إني أرى فيه فقط هذا الحيوان اللبون بريبيشيف الذي ينوي خداعك والذي يجب قمعُه . وسأقمعه . كيف تسير أعمالكَ ، إذن ؟ وهل سنذهب إلى منزل آل بريبيشيف ؟ الإشهار الصريح اليوم.أنا مستعدٌ ومسلّحٌ من رأسي إلى قدمي.

فينيروفسكي : عمليّةً لا خير فيها . هيه ! هيه ! هيه ! . . . إنها الخطبة ، تلك العادة الحمقاء التي يجب تجنّبها قدْر الإمكان.

بيكليشوف: ليس هذا مهماً . . أين صرتَ فيما يخص المسألة المالية ؟ هل حصلتَ على إيضاح ؟

فينيروفسكي : لقد أوضحتُ فكرتي أمام والدها المحترم منذ البداية . إن ثروتها لها ، وليُعْفني من حماقاته ، نعم . هيه ! هيه ! وابتهج والدُها كثيراً بمثل هذا المفهوم ، طبعاً . ...

بيكليشوف: اوه ! يا للمثاليين ! أعطيْته أنت نفسك ، ملاحاً . ، ميتصور ، بطبيعته الرخوة ، أنه لا يجب أن يعطي شيئاً لعروسك ، ومن الجنون أن تكلّف نفسك الإنفاق على امرأة دون أن تتلقى موارد جديدة . يبدو لي أنْ لا فائدة من البرهنة على ذلك .

فينيروفسكي : هذا صحيح . لكنني سأفعل ما هو ضروري حتى لا يتلاعبوا بي . ليس لي سوى هدف واحد : هو انتزاع هذه الفتاة من الشروط المبلّدة واللاأخلاقية التي تعيشُ فيها ؛ ومن البديهي أن هذه الفتاة لا ينبغي أن تفقد شيئاً لكونْها اختارتني ، ولا ينبغي أن تُحرَم رفاهية حياتها ؛ وهي رفاهيةٌ بسيطة على كل حال . سأفعل ما هو ضروري لحماية مصالحها .

بيكليشوف : لكن ، لا تدعْ أحداً يغشّك . أنتم المثاليون ، هذا هو ما تمتازون به . ترسمون مخططات دون أن تناقشوها مسبقاً من الناحية العملية . ما التدابير التي ستتخذها إذن ؟

فينيروفسكي : في آخر لقاء ، بدأ بريبيشيف ، مرة أخرى ، أمام ابنته ، حديثَه عن المال ؛ فأجبتْ أني أجدُ من الأنسب معالجة هذا الموضوع على انفراد بدلاً من التباهي به أمام الناس .

بيكليشوف: لكن هذه هي النقطة بالضبط ، يا صديقي ، أنت ستمتلك رقةَ الإحساس وهم سيخدعونك .

فينيروفسكي : هذا اليوم هو الذي حددتُه للمحادثات . وفي نيتي أنْ أعلن له أنني أرغبُ في توضيح علاقاتنا المالية . هذا ، ما أستطيع أن أضمنه لك .

بيكليشوف: سيَخْدعُك ، صدِّقْني . (يفكّر) . تذكّرْ شيئاً : بالنسبة إليهم ، بالنسبة إلى هؤلاء الناس ، يأتي الاحتفالُ قبل كل شيء . ومن هذا الجانب يجب أن نُمْسك بهم . تذكّر هذا الشيء : يجب ألا تذهب إلى الكنيسة قبل أن تكون بين يديك الصكوك الصريحة التي تمنحها ثروةً ما .

فينيروفسكي : أنت تطرح المسألة وكأنه ليس عندي سوى ثروتها . لا أستسيغ هذا . وأنت حقاً عملي أكثر مما يجب .

بيكليشوف: آه ! قلتُ لك إنك مثالي . لكنك تنسى مع من تتعامل . هؤلاء جميعاً أوغاد . لقد نهبوا الأقنان ، وشربوا دمَ الشعب ، طوال خمس مئة عام ، وتريد أن تَصْطنع المثاليةَ معهم . نعم : إن لك هدفاً شريفاً : هو إنقاذها . فلماذ إذن تتحيّر بالوسائل؟ هذه شيطنة صبيانية ، وليست جدّاً .

فينيروفسكي : بالنسبة إلي ، أيها الأخ ، يأتي الهدفُ قبل كل شيء .

بيكليشوف: طيّب ، طيب، مثالي ! أكرّر لك أني إنْ لم أمسكَك بيدي فستَعْلق بين أيديهم وكأنك في شرك . على كل حال ، مِنْ هذه الناحية ، ستتمعهم ، فاحْكِ لي صفات هذه الفتاة .

فينيروفسكي : ماذا أقول لك . . . صبيّةٌ مظهرها رائقٌ جداً ، طيّبة ، ودودة ؛ هي طبيعةٌ لم تفسد تماماً . إمكاناتٌ حسنة جداً . في هذه الأيام الخمسة عشر الأخيرة أعطيتُها كتباً كثيرة تقرؤها وتحدّثتُ كثيراً معها . ولذلك أخذتْ ترى الأشياء في وجهها الحقيقي . مثلاً ، أحسّتْ بكل دناءةِ وسطها ، وتمنّتْ لو تتخلّص منه ، وأدركتْ تفاهةَ والديْها المحترميْن. طبيعة طيّبة جداً ومستقيمةٌ . وإذا ما انتشلْتُها من هذا العشّ الدنيء ، المليء بالخِزْي ، وحملْتُها ، طبعاً ، على قطع صلاتها كلها بأهلها المحترمين ، فاني آمَلُ أن تتطوّر تطوّراً كاملاً . ستراها بعد قليل .

بيكليشوف : جيد . ومَنْ هذه البنت ، ابنة أخيه ؟

فينيروفسكي : ابنة أخيه وهي فتاة متحرّرة ، وطبيعةٌ متطوّرة وليست غبية ، لكن مظهرها غير جذاب كثيراً .

بيكليشوف : مهما يُقَلْ فان النساء لا يمكنُ أن يكنّ جميلات ومتطوّرات في آن واحد . فالبلهاوات الممتلئات هنّ أكثر حلاوةً .

فينيروفسكي : ديه ! هيه ! نعم ، طبعاً . إذن هذه الفتاة تضايقني كثيراً . كانت بيننا قديماً بعض العلاقات . كانت الكائن الوحيد المفكّر في العائلة ، فتقرّبتُ منها تلقائياً . والآن يبدو أنها تريد فرض طلباتها عليّ . أصبح ذلك سخيفاً ، وقد يُصبح أسوأ إذا علمتْ بزواجي .

بيكليشوف: هذا سيءٌ .

فينيروفسكي : لا ، يا سيرج بيتروفتش المحترم ، لا يمكن لأحد أن يُنحي علي باللائمة ؛ لقد تصرفْتُ كما يتصرف الرجلُ الشريف الذي يعترفُ بحرية المرأة . قلتُ لها إنني لا أريد ألاّ ألتزم بشيء ، وأنني لا أُسلم نفسي لهذه العلاقات إلا لبعض الوقت .

بيكليشوف : ها ! ها ! ها ! إني أرى بوضوح ما يكدّرك : أنت تتساءل إن كنتَ لم تُسيءْ التصرف معها . يا للمثالية ! فكّرْ مع مَنْ تتعامل . تذكّرْ ما يعتبرونه شراً وما يعتبرونه خيراً .جميع الأفكار الأخلاقية مشوّهةٌ في الوسط الذي يعيشون فيه . وإذا حسبنا حساباً لهؤلاء الناس خُدِعْنا أبداً . القاعدة الأولى هي أن نعلم ما غيرُ الشريف عندنا وما الشريف عندهم ، والعكس . وطبْقاً لهذا المبدأ ، فَلْنفرضْ أنك لهوتَ معها — في مملكة العُميان العورُهم الملوك(١) — فما أهمية ذلك ؟

فينيروفسكي : صحيح ، لكن هذه الفتاة ملحاحٌ ، وهي تعتقد أن لها حقوقاً عليّ وتستطيع أن تؤذيني . أودّ تنحيتها .

بيكليشوف : هذا واضح . . ولن أقتصر على تَنْحية تأثيرها ، بل سأقيد هذين الشخصين تقييداً محكماً بحيث يتعذّر الفصل بينهما — انتظرْ قليلاً .

---

(١) في مملكة العميان العورهم الملوك : تولستوي يستخدم هنا مثلا روسياً يقول حرفياً : « إذا غاب السمك عد السرطان سمكاً » .

المشهد الثالث

« الشخصان السابقان ؛ يدخل الحارس الذي يقوم بدور الخادم ، ثم كاترين ماتفيفنا وايفان ميخايلونتش » .

الحارس : أناتول دميتريفتش ، هذه الآنسة تطلبك مرة أخرى ، ومعها سيّد .

فينيروفسكي : أيةُ آنسة ؟

الحارس : تلك التي كانت تأتي من قبل ، بشعرها القصير .

فينيروفسكي : هذا بريبيشيف مع ابنة أخيه . أدْخلْهما .

(بخرج الحارس)

بيكليشوف : ها إن الكرة تبحث عن اللاعب(۲) . سألاحقهما كليهما .

« يدخل ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا » .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ذهبتُ أنا وكاتنكا لزيارة مدرستك . وخافت ليوبوتشكا من مصاحبتي ، بالرغم من رغبتها في ذلك ، لأنها بردتْ أمس . وجئنا لزيارتك ، في طريقنا . آه ! آناتول دميتريفتش ، أأعترف لك ، رَوْعةٌ هؤلاء الأطفال ! نعم ، هذا لطيفٌ حقاً ، لطيفٌ جداً .

فينيروفسكي : أحسنتَ صنعاً إذ جئتَ . سأقدّم لكَ بيكليشوف ، وهو رفيقٌ وسيّد ذكي وطيّب . كاترين ماتفيفنا ، أقدّمه لكِ أيضاً .

---

(۲) الكرة تبث عن اللاعب : المثل الروسي المستخدم هنا ، يقول : « الطريدة تبحث عن الصياد » .

كاترين ماتفيفنا لبيكليشوف ، وهي تشدّ يده بقوة عظيمة حتى كشر من الألم : أدهشني دائماً أن علاقات الرفقة بين الرجال ثابتة ، في حين أن هذا الحدث ، إن صحّ القول ، لا يحدثُ بين النساء – ألا يكمن السببُ في مستوى التعلم المتدني الذي تُمْنَحهُ المرأة ؟ أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف : لا ريب أن الروابط تتوثّق بوحدة القناعات لا . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! اعتقدُ أنك صديق حميم لأناتول دميتّريفتش لا لكونك رفيقه ، بل لكونك تشاركه مفاهيمه .

بيكليشوف : لا ريب أن لنا نفس المفاهيم . ذهبتما إلى المدرسة ؟

كاترين ماتفيفنا : نعم ، قلْ لي ، ما رأيك بفكرتي هذه : إني أتساءل إن كان تطوّر المنعكسات لدى الصغار ضاراً ؟ وافقْني على أن الموضوع هنا يدور على الطبائع الكاملة . . .

بيكليشوف : يَعْني . . . أنني أجهل كيف تنظرين إلى هذه القضية . المنعكسات هي فقط علامة تطوّر .

(يتنحيّان وهما يتابعان حديثهما) .

ايفان ميخايلوفتش - لفينيروفسكي : منذ زمن طويل وأنا أنوى أن أزورُ هذه المدرسة ، فهي جديرة بالاهتمام ، وفي الوقت نفسه ، قلت في نفسي : يجب أن نتحدّث اليوم ، في شؤوننا ، بصدد ثروة ليوبوتشكا ، كما تذكر . إني أحْملُ هذه (يُري محفظته) . ستكون أكثر ارتياحاً هنا .

لنتحدّثْ ، ثم سآخذك إلى البيت . نستطيع ان نعان النبأ لكاتنكا ، لأن الجميع سيعرفونه اليوم . لن تضايقنا ؛ على العكس ، ستُعطينا نصائحها ، لأنها امرأةٌ ذكية ، كاتنكا ، بالرغم من غراباتها .

فينيروفسكي : لا ، تفعل ذلك الآن ، هذا مزعج . . . فهناك هذا السيّد . . .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! سنفعل ذلك فيما بعد . لكنني لن أتركك اليوم . يجب أن تعرف مع ذلك . . . (يقترب بيكليشوف وكاترين ماتفيفنا) . كم أنا ممتنٌ لك ، لأنك أتحْتَ لي زيارة هذه المدرسة . يا لروعة هؤلاء الصغار ! لا أكاد أصدّق ! ما أَمْرحَهمَ وما أَطْرفَهم ! وما أعظمَ التقدم الذي يحقّقونه ، وبما أنه . . . شيء . . . فيجب أن ننصفاك ، لأن هذه المدرسة منظمة تنظيماً عجيباً . شيء لطيف ، إنه لعمل حقيقي من أعمال الخير . . . لطيف ، لطيف جداً .

فينيروفسكي : نعم ، نحن نتابع عملنا شيئاً فشيئاً . ومع أنهم يضعون لنا العصيّ في العجلات ، إلا أننا سنحطّمها قليلا قليلاً .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أرى أنه تقدّم لشعبنا دون تعليم حقيقي ، قصدت التعليم الأخلاقي .

بيكليشوف : كل واحد يفهم التعليم على طريقته ، لكنه مفيد بالتأكيد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمح لي ! أناتول دميترفتش ، لماذا لم

تطبّق فيها الطريقةَ الصوتية ؟ إنها أقربُ تناوُلاً وأكثر عقلانيةً ، أكثر عقلانيةً بكثير .

فينيروفسكي : هيه ! لا يُصْنَع كلُّ شيء عقلانياً . فضّلتُ طريقة زولوتوف المبسّطة(١) .

كاترين ماتفيفنا : أريد أيضاً أن أوضح رأيي بصراحة أمامك . لقد تحدّثتُ للتوّ مع بيكاليشوف . أرى أن تنمية المنعكسات في الطبائع المتدنيّة المستوى أمرٌ لا عقلاني .

ايفان ميخايلوفتش : اعذروني ، سأمرّ على دار البلدية(٢) بسرعة ثم نذهب بعد ذلك ونتحدث .

فينيروفسكي ، **لكاترين ماتفيفنا** : سنناقش هذه المسألة . هيه ! هيه ! هيه ! (لإيفان ميخايلوفتش) . حسناً ! عُدْ . سيأتي بيكاليشوف معنا وستُجلسُه في مركبتك ، على ما أظن ؟

ايفان ميخايلوفتش : سنجلسه فيها ، سنجلسه فيها (لبكاليشوف) . أنا سعيد ، سعيد جداً . هذا يوم سارٌّ لنا ، وسيكون صديق أناتول دميّتريفتش ضيفاً عزيزاً في بيتي .

(يتحادثان بصوت منخفض)

كاترين ماتفيفنا ، **لفينيروفسكي** : إن بقيتُ هنا فسوف أُعنى بقسم من التعليم في هذه المدرسة . وسأبرهن لك عملياً أن المنعكسات ضارة .

---

(١) طريقة زولوتوف المبسطة : فاسيلي زولوتوف (١٨٠٤ – ١٨٩٢) مرب رفيع الشأن ، مؤلف كتب مدرسية .

(٢) دار البلدية : المكان الذي تتجمع فيه الدوائر المدينة في المقاطعة .

فينيروفسكي : حسناً ! هذا ممكن .

ايفان ميخايلوفتش ، وهو ينصرف : إلى اللقاء ، سأنتهي في خمس دقائق .

فينيروفسكي ، لايفان ميخايلوفتش : عُدْ إذن ، عُدْ . (لكاترين ماتفيفنا) . لماذا تهاجمين هكذا تطوير المنعكسات لدى الأطفال ؟ أعتقد أن ما هو خير لنا لا بد أن يكون خيراً للجميع .

كاترين ماتفيفنا ، لفينيروفسكي : لا ، اسمحْ لي ، اسمح لي ! هذه الزيارة للمدرسة بعثت فيّ عدداً من الأفكار ! هناك مسألةٌ تطرح ذاتها : ماذا تنوي أن تفعل بهذه الطبائع ؟ هل تعترف بتطور كل فرد باعتبار هذا التطور خيراً لا شك فيه ، أم أن تطور الوحدة دون مؤازرة المبادرة العامة يضرّ بهذه الوحدات من جراء شذوذ النظام القائم ؟

فينيروفسكي : أعتبر أن التطور خيرٌ دائماً ، مهما يكن الشكل الذي يتجلّى فيه ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، على طريق التقدم .

فينيروفسكي : طبعاً . لكن يجب مع ذلك أن نأخذ بعين الاعتبار العقبات التي يَحْملها الوسطُ المحيط .

كاترين ماتفيفنا : هذا صحيح ؛ مهما تقلْ فقد أجبتكَ من قبل وقلتُ إن الحدسَ يدلّني على أن هذا الوسط القاتل ، هذا الجو العفن الذي نتنفّسه هو فوق قواك .

فينيروفسكي ، ينوي أن يقول شيئاً لصديقه : أنت . . .

كاترين ماتفيفنا: لا ، اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، دعْني أوضّح رأيي . لقد حدّدت لنفسك هدفاً هو إدخال النور الى هذا الركود ، لكن الوسط يضغط عليك ، ولا بد لك من مجالٍ أرحب . (لبيكليشوف) . أليس هذا صحيحاً ؟

بيكليشوف ، لفينيروفسكي : أية بنت هذه ، يا صديقي ! أبْد رأيك إذن .

كاترين ماتفيفنا ، بعد تفكير : نعم ، إن هذه الزيارة ولّدت فيّ سلسلةً من الأفكار . وقد ازداد تقديري لك . (تشدّ على يد فينيروفسكي) . بيكليشوف ، عندي قضيةٌ شخصية أحب أن أعالجها مع فينيروفسكي ، أنا فوق الأحكام الاجتماعية المسبقة ، ولذلك أرجوك أن تخرج . أأنت فوق تلك الأحكام أيضاً ؟

بيكليشوف: طبعاً ، سأبقى في الغرفة المجاورة (لفينيروفسكي ، وهو خارج) . هذا أحسن ؛ نعم ، هي متطوّرة ، لكنها كريهة ، أستطيع أن أقول ذلك .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

« كاترين ماتفيفنا تصمت ، فينيروفسكي يصمت أيضاً ، مرتاحاً » .

كاترين ماتفيفنا ، مرتبكةً : نعم ، هذا هو اليوم . . . وإن صحّ القول . . . نعم ، لقد تمّ التخمّرُ الداخلي . . . لكنكَ

طبيعةٌ شريفة . . . لقد أفْلتتْ المرأةُ من الضغط الإجتماعي الذي كان يخنقها . . . وهي مساويةٌ للرجل وأنا . . . نعم ، جئتُ لأقول لك بشرف وبصراحة . . . لقد شعرتُ شعوراً عميقاً بذاتي . . . نعم ، أنا . . . لكنْ قلْ أنتَ شيئاً ! . . .

فينيروفسكي : أنا أصغي إليكِ . سيكون الحديثُ ممتعاً ، على ما يبدو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لكن أنْ أقول هكذا . . . نعم ، انتظرْ . . .

فينيروفسكي : سأنتظر . وعدتِ أن تنقلي إليّ عواطفك ، لكن شيئاً ما يعوقُك . أنتِ امرأةٌ حرّةٌ — تغلّبي على نفسك بنفسك . ومن أجل الوضوح في العلاقات ، نحن بحاجة إلى الوضوح في العبارات وفي الكلام . ووضوح العلاقات ، بالنسبة إلي ، أمرٌ مرغوبٌ فيه . سأعبّر عن نفسي بصراحة ، افعلي مثلي ، دون أن تُربكك تلك الآراءُ البالية عن علاقات الرجل بالمرأة . لا تتضايقي ، آدم القديم هو الذي يشوّشُك كما تقول العلومُ الروحانية الطيّبة الذكر . . . ماذا تقولين ؟ . . . .

كاترين ماتفيفنا ، بعزم : نعم ، صَدَقْتَ ، إنه آدم القديم . وأنا فوق ذلك . (تمدّ إليه يدها) . فينيروفسكي ! لقد سَبَرْتُ أغوار وجداني واقتنعتُ بأننا يجب أن نتّحد . نعم . . . أمّا الشكلُ الذي يجب أن يتمّ به هذا الاتحاد فهو ما أتركُ لك حريةَ البتّ فيه . هل نجدُ من الضروري ، من أجل

الجمهور وأهلي المحدودي التطوّر ، وكذلك من أجل أهلك ، أن يكون ذلك عن طريق حفلة الزواج – أنا موافقة سلفاً ، وأنا أتساهل هذا التساهل مهما يكن مضاداً لقناعاتي . لكني أرغبُ في شيء واحد . إن الوسط ، كما قلتُ لك يخنقني ويضغط علياك . فيجب أن نسافر ، ويجب أن نقيم في بطرسبرج ، حيث ستَلْقى قناعاتنا تعاطفاً أكبر ، وحيث سنبدأ حياةً جديدةً ، على أسس جديدة ، وبمبادىء جديدة . أما مسألة امتلاكي ، فهي محاولةٌ بيننا من قبل .

فينيروفسكي : هذا شريفٌ وواضح . أستطيع على الأقل أن أوضح رأيي بشكل حاسم مثلك ، وسأحاول أن أفعل ذلكَ .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي : لم أقل كلّ شيء . فالحياة التي تنتظرنا سيكون لها أهميتُها لا بالنسبة إلينا فقط ، بل بالنسبة إلى المجتمع كله أيضاً .

فينيروفسكي : اسمحي لي أيضاً أن أقول كلمتين .

كاترين ماتفيفنا : فينيروفسكي ، أنا أقدّركَ ، وأنتَ تعرفني . أنا امرأةٌ حرّة مساويةٌ للرجل . وأنا فخورةٌ لأني أول مَنْ قال لكَ : أريد أن اتّحد بكَ ، وأنا أنتظر جواباً شريفاً ومتروّياً . كل هذا بسيطٌ جداً .

(ترد شعرها ، وتمشي منفعلةً) .

فينيروفسكي : هذا هو الدليل على أن النظر إلى الحياة ببساطة وشرف أكثر ملاءمةً وعقلانية . قلت : إنك ترغبين في الاتّحاد بي ؟ هذا مفهوم جداً : سأعرفَ على الأقلّ بماذا أجيب .

واختيارُكِ وطريقتُك في التعبير عنه يدلاّن على درجة التطوّر العالية التي بَلغْتِها . ولا أعرفُ فتاةً أخرى يمكنها أن تتصرّف بهذه الطريقة الواعية . وأنا أجيبكِ بصراحة أن هذا الاتحاد لا يناسبني ؛ ولذلك لا أستطيع قبوله . أما علاقاتنا القديمة فان نفس الحسّ الأخلاقي بالحقيقة الذي تملكينه إلى حد كبير ينبغي أن يكون ضمانةً لي على كتمانك بهذا الصدد .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . . أنتَ ترفضني ؟

(تقف وتردّ شعرها) .

فينيروفسكي : كاترين ماتفيفنا ، ليس من رجل حديث لا يعتبر عَرْضكِ مكافأةً له على مشقّاته ، لكنني اخترتُ اختياراً آخر ، ولذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : آه ! حسنٌ جداً . اسمحْ لي . أنا أقدّرك . . .

(تمشي ، منفعلة) .

المشهد – ٥ –

« كاترين ماتفيفنا ، فينيروفسكي ، ايفان ميخايلوفتش » .

كاترين ماتفيفنا : آه ! ايفان ميخايلوفتش ! لقد تحدثنا ، واتّضحَ الوضعُ . نعم ، أنا مسرورةٌ بهذا الوضوح . لقد وضّحْنا كلّ شيء .

ايفان ميخايلوفتش : كان بينكما إذن شيءٌ ملتبسٌ .

فينيروفسكي : كانت مسائل مجرّدة ، على الأصح . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، لم تكنْ مجرّدة تماماً . . . على كل حال أنا مسرورةٌ . . . لنَعُدْ . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، عفواً . وعدتُ أناتول دميتريفتش أن أحدّثه اليوم في شؤوننا . جئتُ إلى هنا عمداً ، وحماتُ هذه الأوراقَ . . . الآن نستطيع أن نقول لك ذلك ، يا كاتنكا . هَنِّئينا ، أناتول دميترفتش وأنا . لقد كاشف ليوبا مكاشفةً نالت رضانا ، وسيتزوّجها في مطلع آب .

كاترين ماتفيفنا ، لفينيروفسكي : هناك ثلاثة أنواع من الحب : حبّ عشتار ، وحب « أفروديت » ، وحبّ المساواة . فينيروفسكي ، أنتَ لم ترتفعْ فوق حب عشتار كنتُ أظنّك أعلى . . . لكنني ما أزال أقدّرك كما كنتُ أقدّرك من قبل . ايفان ميخايلوفتش ، هل ستتحدّثان طويلاً ؟

ايفان ميخايلوفتش : ربع ساعة تقريباً ، انتظرينا .

كاترين ماتفيفنا : فينيروفسكي ، أعطني آخر عدد من « النجمة القطبيّة»(١) ، سأقرؤه .

فينيروفسكي ، مادّاً المجلة : ها هو ذا ؛ انصحاك بقراءة هذه المقالة . فهي دراسة حسنة . . . لعلك تقبلين بالانتقال إلى الغرفة المجاورة ، لئلا نحول بينك وبين القراءة ؟

---

(١) النجمة القطبية : مجلة ثورية كان يحررها هرزن واوغاريف في لندن من ١٨٥٥ إلى ١٨٦٢ . وكانت توزع سراً في روسيا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي : حقاً ، ترتاحين أكثر هنا .

كاترين ماتفيفنا : لا .

فينيروفسكي ، بينه وبين نفسه : أصبح الاستيضاح مستحيلاً مرة أخرى .

(تجلس كاترين ماتفيفنا إلى طاولة على حدة ، تتكىء بمرفقها ، وتشرع في القراءة ، ملقية أحياناً نظرة خاطفة على فينيروفسكي وهازةً رأسها وهي بادية الشك . يجلس ايفان ميخايلوفتش إلى الطاولة ويفتح محفظته ويرتب الأوراق . يجلس فينيروفسكي قبالته) .

ايفان ميخايلوفتش : أيها العزيز وا لمحبوب أناتول دميتريفتش . . .

فينيروفسكي : ما الموضوع ؟ تكلّمْ .

ايفان ميخايلوفتش : كان من شهامتك أنك رفضتَ الحديث الذي بدأتُه عن ثروة ابنتي ؛ ثقْ أنني أقدّر تقديراً عالياً هذه البادرة . لكنك توافقني على أنني أشعر بالسرور ، إن جاز لي أن أعبّر هكذا ، بصفتي أباً ، أن أعرض ما يتعلّق بادارة أملاك ابنتي لزوجها المقبل . . .

فينيروفسكي : حسناً ! أنا أصغي إليك . تكلّم .

ايفان ميخايلوفتش : أقول لك بصراحة أن غيرك قد يُرْمَى بالطمع ، لكن يبدو حقاً أنك تستطيع أن تكون مطمئناً بهذا الصدد ، يا أناتول دميتريفتش . فلن يقول أحدٌ بالتأكيد أنك تزوجتَ من أجل المال . . .

فينيروفسكي ، يلقي نظرةً على كاترين ماتفيفنا : لا شك أن هذا صحيح . لكن ذلك كله لا يوصلنا إلى القضيّة .

ايفان ميخايلوفتش ، يرتّب الأوراق ، ويأخذ منها ورقةً : إن ثروتي متواضعة ، وهي ستؤول إلى ابني . أما ثروة ليوبوتشكا فهي تأتيها من أمها . والأمُ ترغب في أن تحتفظ بجزء يسير منها ؛ أما الباقي فقد قررنا أن يكون ملكاً لك ، ملكاً كاملاً لك . . .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتردّ شعرها : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! أناتول دميتّريفتش ، التقديرُ الذي كنتُ أكنّه لشخصك أخذ يتلاشى في أعماق وجداني . فمنذ خمسة عشر يوماً عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّر ليوبوتشكا . وكان ذلك طبيعياً ، لا مفرّ منه .

ايفان ميخايلوفتش : كاتنكا ، لا تقاطعينا ، بمَ تَهْذرين ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ! فينيروفسكي ، لقد عبّرتَ عن قناعتك بأنك لا تقدّرها كامرأة ، وأنت الآن ستتزوّجها ؟ وهذا غير منطقي .

فينيروفسكي : لا أفهم لأية غاية تقولين هذا ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . قلتُ إنك تصرّفْتَ تصرّفاً غير منطقي . لم أقلْ غير هذا . وأنت الآن تناقش مع ايفان ميخايلوفتش ، شؤون خطيبتكَ المالية — هكذا تُسمّى ، فيما أظنّ ؟ وأنا أرى في هذا الفعل مساومةً حقيرةً موضوعها المخلوق البشري ، ولذلك أرجوكما ألاّ تُهيناني وألاتُهين كلّ

منكما الآخر ، وألاّ تُهينا الكرامةَ البشرية بمتابعتكما هذا الحديث . هذا كلُّ ما عندي .

ايفان ميخايلوفتش : اصغي ، كاتنكا ، أصبح ذلك مضجراً وأحمق ، هذا غريبٌ جداً . هذا كل ما أستطيعُ أن أقوله لك .

فينيروفسكي ، برفقٍ لإيفان ميخايلوفتش : بالفعل ، هذه المحادثة مضجرة ، وإذا شئتَ أن تبلّغني شيئاً فافعلْ ذلك بواسطة بيكليشوف ، ولا سيّما أنْ ليس عندي وقتٌ حقاً . سأُنبئه بذلك .

ايفان ميخايلوفتش : لنذهبْ إذن إلى بيتي ، أناتول دميتّريفتش . نادِهِ ولنذهبْ إلى هناك .

كاترين ماتفيفنا : لن أغتفر مثل هذه الخسّة .

ايفان ميخايلوفتش : في الواقع ، هذا مضجرٌ ، لنذهبْ .

فينيروفسكي : سأتبعك .

(ينصرف ايفان ميخايلوفتش وكاترين ماتفيفنا) .

المشهد — ٦ —

بيكليشوف ، خارجاً من الغرفة الأخرى : ما هذه البنت ، يا صاحبي ، يمكن القول عنها إنها وَرِشة . لا بد من تنحيتها جانباً . لا بد من ذلك حتما .

فينيروفسكي : لكن كيف ؟

بيكليشوف : أخشى شيئاً واحداً : أن يكون كل هذا المشهد خدعة ، وأن تكون الآنسة المندفعة دودكينا قد دُرِّبَتْ على يد المضطهِدِ « الصفّاع » .

فينيروفسكي : لا ، لقد تصرفَتْ هذه الآنسة ببساطة نفسها الغبيّة .

بيكليشوف : قلتُ لك : إنه ليس من خسة لا يُقدم عليها هؤلاء السادة ، لكن الشيء الأساسي هو أن تكلفني الكلام على المهر مع الأب - قلْ له ذلك في الطريق - أما الآنسة فأنا أعلم أن الحاجة إلى الحب تَنْهشها . وينبغي أن نُطاقَ عليها شاباً . حينذاك فقط ستتركك وشأنك . لنذهبْ . سأقمعهما كليهما .

فينيروفسكي : زوجٌ عملي ، نعم . هيه ! هيه !

ستار

اللوحة الثانية

« يُمثّل المسرح الحديقة في أملاك بريبيشيف » .

المشهد – ١ –

« ماري فاسيلييفنا والمربّية » .

المربّية جَرى كل شيء كما قلتُ لكِ ، يا صديقتي ماري فاسيلييفنا ، كما قلتُ لكِ . إنه طالبُ زواج حقاً . عبثاً كرّرت التبصير بالورق ، كان هناك دائماً ملك الديناري وبطاقة الزواج . وكانت كل الأوراق مرتّبة تبعاً لذلك .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، يا نيانا ، ليس من السهل على الأم أن تفترقَ عن ابنتها . عندما قال لي ايفان ميخايلوفتش ذلك هذا اليوم . أحسستُ هنا (تُري قذالَها) . بما يشبه الضربة . رأسي يؤلمني . . . جلتُ جولة ، لكنها لم تخفّف الألم . وأمامنا الجهاز والزواج ، وكم من الهموم مع ذلك .

المربّية : ليس لكِ أن تهتمي بذلك . كل شيء جاهز ، عندك كل شيء .

ماري فاسيلييفنا : هناك شيء واحد : الخطيبُ لا يحبّ أن يرى الناس . كيف العمل ؟ ومع ذلك فمن المستحيل ألا ندعو الأهلَ . وهكذا فمن أجل عشاء اليوم بعثتُ أدعو سيميون بيتروفتش ، وماري وبيتروفنا ، والجميع .

المربية : لا يمكن غيرُ ذلك ، يا صديقتي . وكأنك تريدين أن تزوّجيها خلسةً . لم تبدأ العاداتُ بنا ولن تنتهي بنا . ليس الزواج مزحةً . وأهلكِ ليسوا أقل خيراً من أهله . ماله يرفع رأسه علينا ؟ أيَحْسَبُ نفسه أميراً ؟ وهو مع ذلك ليس تلك الشخصية العظيمة جداً .

ماري فاسيليفنا : أنتِ تاومينه دائماً ، نيانا ، وليس ذلك حسناً . تذكّري أنه سيُصبحُ زوجَ ليوبوتشكا . ولم يبقَ سوى أسبوع وما أكبر شغَفها به ! حتى إني مندهشة من ذلك . هذه ليوبوتشكا ، هذه ليوبوتشكا ، وهي في ظرف سنة سيكون لها ليوبوتشكا صغيرة . وكيف تمَّ ذلك كله ؟ لا ، نيانا ، لا تغتابيه . إنه حقاً رجلٌ عظيم الأهمية — هكذا يراه الجميع — وهو يعرف كل شيء ، وقد سافر إلى كل مكان ، وهو كاتب . على كل حال : مَنْ الذي لم يُغْتَبْ ؟

المربية : أمام ليوبوتشكا — أمام ليوبوف ايفانوفنا — لن أقول ، ذلك ، يا صديقتي . لكن مَنْ الذي سيقول لك ذلك غيري ؟ هذه الكبرياء سيئةٌ ، وهي في غير محلّها . وكأنكم فقراء . ما باله يتصنّع التكبّر على أهلك ؟ ألأنه كان في الخارج ؟ لكنك لن تجدي اليوم ، يا صديقتي ، ملاّكاً فقيراً لم يذهب إلى الخارج . « كنتُ في الخارج ، تأمّلوني ! » لكن كل الناس يذهبون إلى الخارج . ليس الأمرُ كما كان في الزمن القديم . أو : « أنا كاتب ! » يا لها من تُحفة نادرة !

انظري إلى كاترين ماتفيفنا . لقد عرفناها منذ الصغر ، ألم تكن قليلة الفهم ، وبدون أية مهارة وأية مزايا ، ومع ذلك ، فقد نشرت شيئاً ما ، كما قالت لنا مؤخراً . لا تعجبي . الابن الثاني للشماس ، المطرود من المدرسة الدينية ، قد نشر هو أيضاً . لا يدهش أحدٌ لذلك اليوم . ثم إنه لا يملك ثروةً ولا أهلاً . يُقال إن أباه سكير ، وأن الابن لا يدعُه يدخل عليه . وتصرّفاته . . . ما هذا ؟ نراه يدخل : لا نُبلَ . إنه يريد أن يصطنع دائماً شيئاً على البدعة الجديدة ، شيئاً خاصاً . وليس عنده ، على الإجمال ، شيءٌ ؛ حتى عندما يقع له أن يمزح ، فان المزاح لا يناسبُه .

ماري فاسيلييفنا : آه! نيانا ، لا تخوضي في هذا الموضوع ! ربما كان ذلك قدرنا . هذه هي الحقيقة بعينها . لن يغير الكلام شيئاً . هناك شيء واحد : أقبّل يديك وقدميك ، استمعي فقط إلى المربية ماري الشريرة الخبيثة ، اتبعي نصيحتي .

أطلبُ إليك ذلك ، بجاه الرب ، لا تعطيه شيئاً الآن ، لا مالاً ولا أملاكاً . أليس كل شيء لكِ ؟ لا أحد يمكنه أن يَمْنعك من ذلك . أَعْطي الجهازَ والفساتين والفرش والمجوهرات ، أعطي كلَّ شيء ومن أحسن نوع ، لكنْ انتظري قبل أن تعطي المال . فالرجل ، مع ذلك ، مجهول . انظري أولاً إلى ما سيَطْلعُ منه . سيكون لديك الوقتُ الكافي لتُعطيه . أنا أعلم جيداً ، أنك لن تحتفظي بشيء لنفسكِ .

ماري فاسيليفنا: ما أحمقَ أحكامكِ ، نيانا ! كيف يكون ذلك ممكناً ؟

المربية : اسمعي إلى الحمقاء مرةً واحدةً أيضاً . افعلي ذلك . أطلبُ إليك أن تفعلي بجاه الله . لن يكون من ذلك أي ضرر . ستعيشين معه شهرين أو ستة أشهر ، فاذا حافظ على احترامه لحماته ، وإذا كان سليم الطويّة معها ، حينذاك أعطيه

ماري فاسيليفنا : آه ! ما أغباكِ !

المربية : أتظنّين من الأفضل أن يأخذ المال ، ولا يبدي لك احتراماً ، ويجعل ليوبوشكا بائسة ؟ ماذا أخذ يقول عنكم منذ الآن ؟ هو يراكم وكأنكم أدنى منه.استمعي إلى ماشا الحمقاء ، ولو مرةً واحدة في حياتك ، وإلا ذرفتِ الدموعَ غزاراً ، من الكأس إلى الشفتين(١) . . .

ماري فاسيليفنا : ما أحمقكِ ، نيانا . سأكلّم ايفان ميخايلوفتش . سأكلّمه في ذلك حتماً ، ها هو ذا قد جاء .

المشهد – ٢ –

« ماري فاسيليفنا ، المربية ؛ تدخل ليوبوتشكا ومعها الطالب » .

الطالب : قُمْنا لتوّنا بجولةٍ لا تخْلو من المتعة .

ليوبوتشكا : ماما ، لمَ لمْ يأتوا ؟ ذهبتُ إلى لقائهم . فلم يأتِ أحدٌ . تبعني الكسي بافلوفتش ولم يكفّ عن الثرثرة .

---

(١) من الكأس إلى الشفتين : المثل الروسي المستخدم هنا هو : « الكوع قريب ، لكننا لا نستطيع أن نعضه » .

الطالب : تعاطَيْنا الضحك بمناسبة اللقاءات الريفيّة . واستمرّت أحادثينا بشيءٍ من المتعة .

ليوبوتشكا : مالكَ ولهذا التكلّف في كلامك ، شبعْنا تكلّفاً ، تكلّمْ ببساطة أكبر .

الطالب : اذا بدتْ لك طريقتي في التعبير غير مُستساغة ، فتعالي إلى الأرجوحة ، يا ليوبوف ايفانوفنا . وسوف أَشْرعُ في التأرجح .

ماري فاسيليفنا : لعلك تريد أن تتناول فطورك ، يا الكسي بافلوفتش ؟

الطالب : يمكننا أن نتغذّى ؛ لا ضَيْرَ من ذلك ، يا ليوبوف ايفانوفنا تعالي حقاً ، فقد ضجرتُ .

ليوبوتشكا : حسناً ! اضجرْ وحدك ، فعندي ما أفعله .

الطالب : عجباً ، عجباً ! تمرينات هامة ؟

ليوبوتشكا : عليّ أن أقرأ مقالةً أعطاني إياها أناتول دميتّريفتش .

الطالب : عبثاً . . .

ليوبوتشكا : لماذا تضايقني ؟ أنتَ تُزعجني .

المربية : وما أغربَ هذا كله .

الطالب : وأنتِ أيضاً تزعجينني ، لكني أحترمُ جنسكِ .

ليوبوتشكا : يالهذه التصرفات !

ماري فاسيليفنا : الكسي بافلوفتش ، يجب أن تعامل الآن ليوبا معاملةً مختلفةً .

الطالب : تعلّمتُ هذه التصرّفات من كتابٍ علمي ألّفه بيلوف ونُشر سنة ١٨٦٣ ، في مطبعة سيركين ، بعنوان « التصرفات الواجب إحداثهافي أشخاص الجنس اللطيف أو فن إرضائه » .

ليوبوتشكا : ماما ، اطرديه ؛ لمَ يُزعجني ؟ حان وقتُ عملك مع أخي . بيتّروشا !

بيتّروشا يصرخ من النافذة : ماذا ؟

ليوبوتشكا : ادعُ الكسي بافلوفتش العمل . اذهبْ إليه.شيءٌ لا يُطاق حقاً أنني لم أفلحْ منذ هذا الصباح في التخلّص مناكَ .

الطالب متضايقاً : غيّرتِ فجأة طريقتك في معاملتي ، وأنا أجهلُ لأي سبب .

ليوبوتشكا : لا سببَ لذلك . انصرفْ وهذا كل شيء .

الطالب : كنتِ من قبل أكثر ميلاً إلى المخالطة .

المربية : : هيه ! يا سيدي ، لو كنتُ أمّها ،لما سمحتُ لكَ أن تكلّمَ ابنتي أمامي هكذا . كنت سأعلّمك الأدب .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقولين ، نيانا ؟ كفّي ، جُننْتِ . (للطالب). بالفعل ، لماذا تضايقها ، يا الكسي بافلوفتش ؟ اذهب إلى غرفة بيتّروشا ، سأرسل لك فطورك . وعلي أن أكلّم ليوبا .

الطالب بينه وبين نفسه : هذا الشخص اللبون مصابٌ بالغضب . (لماري فاسيلييفنا) . حسناً ! الفطور لا يضرّ . أرسليه . (ينصرف) .

صوت بيتروشا : أرسلي لنا ، يا أمي ، شيئاً من البالياك(١) والخمر.

ماري فاسيليفنا : طيّب .

المشهد – ٣ –

« المربية ، ماري فاسيلييفنا ، ليوبوتشكا »

ليوبوتشكا : ماما ، ماذا ينبغي أن أفعل ؟ إنه يلاحقني أينما ذهبت ، ويحاصرُني مثل ذبابة . . . قولي له أن يكفّ . . . أصبحت الآن مختلفة تماماً .

ماري فاسيلييفنا : انتظري ، سيأتي خطيبُك ، وسنعلنُ اليوم الخطبةَ على الجميع .

المربية : يجب أن تبدي بعدم المزح معه أبداً ، ياآنستي العزيزة . ويكفي أن تُعطي هذا (تُري اصبعَها الصغير) للناس الذين من جنسه حتى يأخذوا في الحال الذراع كلها . يجب ألاّ تتغنّجي معه . لكن لتكن الأمور ، بالنسبة إليك ، فولاً أو حمصاً(٢) . . . اختلفتِ عن ذي قبل .

ليوبوتشكا : نيانا ، لكني لم أتغنّجْ قط . لعبتُ فقط مع بيتروشا ومعه . وهو كريه.ولستُ أبادلُه كلمة. كل ما أفعله الآن هو أن أدرس وأقرأ الكتب التي حملها إليّ أناتول دميتريفتش ، لكنه لا يدعني وشأني .

---

(١) البالياك : ظهر الحفش المدخن . وهو من المقبلات الفاخرة .

(٢) فولا أو حمصاً : يقول المثل الروسي : « كل كاهن بالنسبة إليك ، فهو أب » .

المربية : يجب أن تسلكي سلوكاً أقسى . أنت مُفرطة الطيبة . لو كنت مكانك لما سمحتُ لهذا الوغد بدخول بيتي . لكن انتظري قليلاً ، سأعلّمه الأدب ! فهو لا يخشى أحداً في البيت غيري . يجب . . .

ليوبوتشكا : ماما ، أما زالت كاتنكا تجهل أني مخطوبة ؟

ماري فاسيليفنا : نعم ، يا عزيزتي ، أبوك ونيانا وحدهما يعرفان ذلك . أنتِ نفسك أردتِ ذلك ، لكننا سنُعلن ذلك للجميع اليوم .

ليوبوتشكا : لماذا لم يأتوا إذنْ ؟ هذا غريبٌ حقاً . ماما ، أليست شخصيته حسنةَ المنظر ؟ أليس كذلك ، نيانا ؟

ماري فاسيليفنا : نعم ، وجههُ معبّرٌ .

ليوبوتشكا : وما أذكاه ! ليتك تَسْمعينه وهو يحدّثني ! كمَ ستغضب كاتنكا ! على كل حال ، هي تستحقّ ذلك فهي تقول دائماً : إنني غير متطوّرة . الآن سأتطور . وهو يقول : إنني تطورتُ كثيراً في خمسة عشر يوماً . تعلمين ، نيانا ، أنها مُغْرمةٌ به . هي لا تقول ذلك ، لكنني أعرف . ها هم أولاء ، ها هم ! لا تبكي ، ماما ، أليس كذلك ؟ نيانا ، لا تبكي ، أرجوك . هو لا يحب البكاء ، ثم إن ذلك حمقٌ . كل هذا قديم ، كل شيء عندنا سيكون بحسب الأفكار الجديدة . أنتِ لا تفهمين كيف سيكون هذا ، نيانا . أنا مسرورةٌ جداً . هو ذكي . نعم ؟

ماري فاسيلييفنا : حسناً ! لتكن مشيئة الله ! لتكن مشيئة الله !

المربية : الواقع أنه لا بأس به .

ليوبوتشكا : كيف « لابأس » ؟ هو لطيف . نعم ؟

المشهد — ٤ —

« النساء أنفسهن ، يدخل ايفان ميخايلوفتش ، فينيروفسكي ، بيكليشوف ، كاترين ماتفيفنا ، تفير دينسكوي » .

ايفان ميخايلوفتش ، مقدّماً بيكليشوف : بيير سيرغيفتش بيكليشوف ، صديق آناتول دميتّريفتش .

ماري فاسيلييفنا : أنا سعيدة جداً ، أهلاً بك . (لفينيروفسكي) .

كيف الحال ، آناتول دميتّريفتش ، كيف صحتكَ ؟

(تدخل البيت مع ايفان ميخايلوفتش) .

كاترين ماتفيفنا : أين الكسي بافلوفتش؟عندي شيء أريد أن أقوله له .

الطالب ، خارجاً من البيت : كنّا نتغذّى مع بطرس ايفانوفتش .

بيكليشوف ، لكاترين ماتفيفنا : قدّميني ، من فضلك ، لطالبكم .

كاترين ماتفيفنا : أفهم رغبتك ، إنه الإنسانُ الحيّ الوحيد .

بيكليشوف : أنا سعيد جداً . (يشدّ على يده) ليتنا نتنزّه قليلاً .

(يذهبُ الثلاثة) .

ليوبوتشكا : لفينيروفسكي : لماذا تأخرتَ في المجيء ؟ ضجرتُ كثيراً . قرأتُ مقالتيك وحفظتهما .

فينيروفسكي : جيّد . وأنا فكرّتُ في أشياء تخصّك .

ليوبوتشكا : فيمَ فكرّتَ ؟ أأعرفُ ؟

فينيروفسكي: لا أعتقد ، ليوبوف ايفانوفنا . انظري ، بل إني وضعتُ جزءاً منها على الورق .

(يمدّ إليها مقالته) .

ليوبوتشكا : لا ، أرجوك ، حدّثني . أحبّ كثيراً أن تحدّثني .

فينيروفسكي : حسناً ! فكرّتُ في آخر حديثٍ بيننا . فكرّت في المرأة قائلاً في نفسي : إن إحدى مهمات عصرنا الأساسية تحريرُها من العبودية البربرية التي تجدُ نفسها مضطهدةً فيها .

ليوبوتشكا : نعم ،لماذا لا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ؟ وأنا فكّرتُ في ذلك . لو أنني مَلَلْتُ زوجي ، مثلاً ، وأنني لم أعد أحبّه على الإطلاق . . .

فينيروفسكي : مع الأسف ! هكذا تشوّه شفاهُ الجمهور أعظمَ مذهب لتحرير المرأة . ليس هذا هو تحريرُ المرأة ، هو لا يَكْمنُ هنا . تحرير المرأة يقوم على مساواتها بالرجل ، وعلى أنها يجب ألا تظلّ منقادةً إلى الأبد لأبيها ، ثم لزوجها . على المرأة أن تظل ثابتةً على قدميها في المجتمع ، وأن تَقْوى على النظر إلى المجتمع في عينيه مباشرةً .

ليوبوتشكا : لماذا تقول كاتيا دائماً : إنني غير متطوّرة ؟ أنا أفهم جيداً جميع الأفكار الجديدة ، وغيرها !

فينيروفسكي : نعم ، صعبٌ عليك إدراك فكرتي ، لكني سأحاول أن أعبّر لكِ بصورة مشخّصة ؟

ليوبوتشكا : كيف قلتَ ؟ « مشخّصة » ؟ . . . وأنا أعرف أيضاً : الطريقة القياسية . ثم إني أعرف غير ذلك . . . كمّلْ ما كنتَ تَنْوي قولَه .

فينيروفسكي أحب أن أبرهن لك بمثلٍ علامَ تقوم حريةُ المرأةِ الحقيقيةُ . لو كنتُ أحد هؤلاء السادة المتخلّفين الذين يسودون مجتَمعك ، أو لو كنتُ تحرّرياً سطحياً لاعتبرتُ أنني سأنال حقوقاً على شخصيتك عند الزواج بكِ ؛ولخضعتِ لي وخضعتُ لكِ ؛ ولما استطعْنا أن نأتي بحركة دون أن يجرحَ أحدُنا الآخر . لو كنتُ مريضاً مثلا ، وأنت تَنْفرين من رؤية الألم ، فأنت مضطرّة أن تظلّي بقربي ؛ حويصلتُك الصفراوية ، أو حويصلتي لا تصبُّ عصارتَها في المعدة ، ومع ذلك يجب أن نظلّ معاً ، نتألمّ ونتخاصم . أو إني أريد أن استخدم مالي في شراء الكتب ، وأنتِ ، لِنَقُلْ ، في شراء . . .

ليوبوتشكا : آلة خياطة مثلاً ، أو أية آلة . هذه هي الأشياء التي ، سأشتريها دائماً ، أما فستان المخمل الأسود فلن أشتريه . كنتُ أشتهيه كثيراً . فالأقمشة الثقيلة تناسبني . ما رأيكَ إذن ؟ أحب الاستماع إليكَ كثيراً .

فينيروفسكي : أنتِ ترين إذن ما الأهمّ في الزواج ، هو حرية الطرفيْن واستقلالهما .

ليوبوتشكا : آه ! فهمتُ هذا . سيكون رهيباً عليّ أن أفكرّ أنك ستأمرني . شبعتُ من المُربّيات . كان عندنا مربّيةٌ ، ساره كارلوفنا(١) ، لم ترَها أنت هنا . آه ! كم كانت مزعجةً . لو كنتُ أعلم أنك ستأمرني لما تزوّجتُ . أحسّ بالبهجة وذلك لأنني أعلم أننا إن لم نكنْ بالتحديد كالغرباء ، فسنكون متساويْين . . . آنيت زايتسيفا ، رأيتَها عندنا – صديقتي ، لكنها غير متطوّرة حقاً ، لا همّ لها إلا قراءة الروايات . . . وهي تقول : يجب ان تتزوج فقط عندما نحب . كأننا نستطيع ان نحب متى شئنا ! والتصنّعُ حقيرٌ ، اليس كذلك ؟ بينما لو كنّا متساويْين ، فالأمرُ حينئذٍ سهلٌ . هؤلاء الناس لا يَفْتؤون يَحْلمون . . . كيف يمكننا ان نَعْشق بناءً على الطلب ؟

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، الحبُ ليس سوى لفظةٍ ، عند فتياتٍ من نوع صديقتك . سننظّم حياتنا بطريقة لا تُعيق حرّية كل منا . بارادتنا نستطيع ان نتّحد ، فاذا مللْنا استطعْنا ان نفترق دون ان يضايق أحدُنا الآخر . ثم إن حياتنا يجب ألا يكدّرها أي رأي من الآراء المسبقة . وإذا رأيتِ فجأةً ، أو إذا رأيتُ أنا ، أن من الشاق العيشَ معاً ، فينبغي أن يكون لنا الحقُّ في أن نَفْترق دون لومٍ ودون جفاء . كل هذا جديدٌ ، لكنه بسيط .

---

(١) ساره كارلوفنا : ألمانية أو انكليزية .

ليوبوتشكا : ممتاز ! رائع ! فهمتُ ذلك كله . لا ، أنتَ تظنني غبيّةً ؟ كاتنكا قالت لي كل شيء . وكنتُ أظنّ ذلك أنا نفسي . لكنني أرى أنني ذكيةٌ ، في الوقت الحاضر . فهمتُ كل شيء بسرعة . فما أن تبدأ الكلام حتى أعرف سلفاً ما الذي ستقولُه . صحيح !

فينيروفسكي : الحقيقةُ بسيطةٌ ، وهي بهذا تتميّز عن الكذب . طبيعتُك خيّرة ، فأنت تتعلّمين بسرعة .

ليوبوتشكا : تبدو لي الآن حياتُنا القديمة جدّ مضحكة . أما عندنا فسيكون كل شيء متميّزاً ، مع الأفكار الجديدة . من أجل ذلك أحبّكَ .

فينيروفسكي : لا شيء يبهجني أكثر من هذا الذي تقولينه ، ليوبوف ايفانوفنا . وسطُك كله يبدو لك مضحكاً ، وعمّا قريب سيبدو لك حقيراً ، وسيكون ذلك حينئذٍ شيئاً ممتازاً . تعلمين أن العقبة الأولى في وجه تطوّر الفرد ، ولا سيما أنتِ ، هي العائلة . كل إمكاناتك حسنة . لكن الذين يحيطون بك هم أدنى من أحطّ مستوى . الشخصيةُ الإنسانية الوحيدة بينكم هي كاترين ماتفيفنا ، لكنها هي أيضاً ، ولأسبابٍ تعرفينها ، تكره الجميع ، أما الآخرون ، فهم الوحل الذي يوسّخك . . .

ليوبوتشكا : ولمَ ذاك ؟ بابا ذكيّ ، وهو يتعاطف مع الأفكار الجديدة ؛ ماما أقلّ . . . لكنها طيبة جداً . وهي تحبني كثيراً . وبابا يحبك كثيراً . . .

فينيروفسكي : عنهما يجب عليك أن تبتعدي . نعم . أنْ يُحبّاك ، شيءٌ مفهومٌ . كل رجل سيّء ، مهما يكن سيئاً ، يرغب في أن يتقرّبَ من الإنسان الشريف . لكنْ نحنُ ، لماذا نحبّ ما هو خبيث ، وما يفوحُ عفنُه ؟ يجب أن تبتعدي عنهما ، نعم ، أن تبتعدي عنهما .

ليوبوتشكا ، منقلبةً : لا تتكلّمْ هكذا ! لا أحب ذلك ، لا أحب ، لا أحب !

فينيروفسكي : انظري إليهم فقط كأجانب ، لا يمكنك مع ذلك أن تجديهم جذّابين .

ليوبوتشكا : لا أحب أن تتكلم هكذا ، لا أحبّ ! إن قلتَ لي هذا مرةً أخرى ، فلن أحبّ الأفكار الجديدة ، وإذا ما تزوجتُك ، فسوف أعيشُ على طريقتي ، لا على طريقتك . وستستحقّ أنتَ ذلك !

فينيروفسكي : وكيف ستكون طريقتُكِ ؟

ليوبوتشكا : انظرْ كيفَ : سنذهبُ إلى موسكو ، وسنستأجر بيتاً ، أجملَ بيت . وسأفصّل فستانا من المخمل الأسود وفستاناً من الحرير غير الصقيل . في الصباح نذهب في نزهة ، ثم نتغدّى عند عمتي ، ثم أرتدي فستاني الأسود ونذهب إلى المسرح ، إلى مقصورة فيه . ثم أرتدي فستاني الآخر ونذهب إلى الحفلة الراقصة ، في بيت اشبيني ، ثم نعود إلى البيت وسأروي لك الأشياء ، ولن أقرأ كتاباً . سأحبّكَ ، سأحبك كثيراً ولن أمنحك أيّة حرية . لأنني إن عشقْتُك

فسوف أنسى كل شيء ما عداك . ماما كانت هي أيضاً كذلك ، وأنا أشبهها كثيراً . وسترى كم سيكون هذا ممتعاً . سترى .

فينيروفسكي : لكنك لن تفعلي هذا إلا إذا استمررْتُ في كلامي .

ليوبوتشكا : لا ، سأفعل ذلك بالتأكيد . أنا غاضبة .

فينيروفسكي : وبهذه الطريقة ستُحبّينني ؟

ليوبوتشكا : سأحبّكَ إن كنتَ لطيفاً . إني لم أحب قط ، إلا مرة واحدةً أحببتُ قليلا . لكن تلك المرة لا حسابَ لها .

فينيروفسكي ، يأخذ يدها وهو يبتسم ويتردد في لثمها : نعم ، العيشُ هكذا . . . لكن . . . لا بد لذلك من موارد ، ثم نسيان المبادىء .

ليوبوتشكا : لا تتفوّهْ بحماقات . (تقرّب يدها من شفتيه وتشدّ على وجهه) . هذه تفاهات .

فينيروفسكي : يا حلوتي الصغيرة .

(يريد تقبيلها) .

ليوبوتشكا : لا تقل : يا حلوتي الصغيرة ، هذه كلمة بشعة ، خبيثة ، حمقاء .

فينيروفسكي : لماذا كانت هذه الكلمة كريهةً عليك ؟ يا ساحرتي ، اذن . . .

ليوبوتشكا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . . . ليست حسنة ، وهي مزعجة . حلوتي الصغيرة ! . . . هي مُقْرفةٌ ، ولا أدري

لماذا . أنت لا تُحسن الملاطفة . (تبستم) . لكني سأعلّمك. هي مزعجة ، ولا أدري كيف أعبّر لك . . .

فينيروفسكي : اوه ! كم هي فاتنة ! إنها متعةٌ فنّية ! . . . أنا أهذي ... ما أغباني ... طبعاً. أَعْجبتُك إذن، يا ليونبكا ؟

ليوبوتشكا : نعم ، لكن لماذا تمشي وكأن ساقيك مريضتان ؟

فينيروفسكي : ما الحماقات التي قلتُها . (ينهض) لا ، ليوبوف ايفانوفنا ، يجب أن ننظر إلى الحياة بجِد أكبر . لنجلْ جولةً في الحديقة . . .

ليوبوتشكا : هيّا .

(يذهبان فيصادفان بيكليشوف) .

بيكليشوف ، بهدوء لفينيروفسكي : أرأيتَ ، يا صديقي ! تمّ الأمر ! مالت الآنسة إلى الطالب ميلاً شديداً بحيث صار يصعب الفصلُ بينهما .

(تدخل ماري فاسيليفنا وايفان ميخايلوفتش) .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أنا مسرور لأن أناتول دميتريفتش كلّفك أن تتحدث معي عن الشؤون المالية . سأعْرضها عليك ثم تنقلها إليه . أنا أفهم جيداً أناتول دميتريفتش . فهو نبيل التهذيب ، رقيق الحساسية حتى . . .

بيكليشوف : بلا ريب . وأحب أن أقول لك : إنني رجلٌ عمليّ ، لكني أفهم نفور فينيروفسكي من هذا الحديث . هناك ناس طيّبو القلب يفسّرون كل شيء بالعكس . . .

ايفان ميخايلوفتش : طبعاً ، طبعاً . ونستطيع أن نهتم بذلك الآن ، لأن المدعوين سيصلون بعد ذلك . . . إن ثروة ليوبا تأتيها من أمها . .

ماري فاسيليفنا : **آمل ، يا جان ، ألا تقرّر شيئاً بدوني** . أنا الأم والثروةُ ثروتي .

ايفان ميخايلوفتش ، مندهشاً : ماذا تقولين ، ماري فاسيليفنا ؟ (برفق) . أنتِ مريضة ؟ تحدّثتُ معك سابقاً ، على ما يبدو لي .

ماري فاسيليفنا ، بغضبٍ مفاجىء : أظنّ أنني أنا الأم ، وقبل أن تقرر كل شيء مع الغرباء ، ينبغي أن يكلّمني هؤلاء . صار يقال : إنني لا يُحْسَبُ لي حسابٌ ولا قيمة لي . الثروةُ ثروتي ولن أترك شيئاً يُعطي دون موافقتي . لن أعطي إلا متى شئتُ . يبدو لي أنه يجب طلبُ إذني . أصولُ اللياقة أيضاً تتطلّب ذلك . أليس كذلك ، يا سيدي . **أصول اللياقة وحدها على الأقل تتطلّب ذلك ، اسألْ السيد .**

ايفان ميخايلوفتش : هذه مفاجأة ! مالكِ ؟ راجعي نفسك . فكّري فيما تقولينه أمام الغريب !

ماري فاسيليفنا : أنت الذي لعله لا يَعْرِف ما يقول ، أما أنا فأعرفه جيداً . الجميعُ يؤكدون أن الخطيب شخصٌ مجهول .

ايفان ميخايلوفتش : مجهول ! من فضلك ، لا تتفوّهي بحماقات .

بيكليشوف : كل هذا غريبٌ جداً ، إذا لم تقلْ أكثر من هذا .

ماري فاسيلييفنا : لا ، كبحتُ نفسي كثيراً . الجميع يقولون : إنني آخر شخصية في البيت . سأعطّل الزواج .

ايفان ميخايلوفتش : لكنْ ما بكِ ؟ لماذا ؟ ماذا تريدين ؟

ماري فاسيلييفنا : لماذا ؟ لأني لا أعرفُه . ولست آخذُ عليه شيئاً . ولستُ حاقدةً عليه . لكنني لن أعطيه شيئاً قبل الزواج . فولوكولامسكوي(١) لي . بعد ذلك ، سأرى : إذا أبدى احترامه لي فسوف أعطيه إياها ، وإلا فان أول كاتب عابر سبيل يمكنه . . .

ايفان ميخايلوفتش : يأخذ يدها بقسْوة : كفى . تعالي . سنتحدّث هناك .

ماري فاسيلييفنا خائفةً : لن أقول شيئاً ، جان ، لن أذهب ، دعني بحاه السماء . لن أقول شيئاً بعد الآن .

ايفان ميخايلوفتش ، لبيكليشوف : أنتَ ترى ، هذه نزوةٌ غريبةٌ ، لكنك تُدرك أنْ لا أهميّةَ لذلك . وأرجوك ألا تقول شيئاً عن ذلك لآناتول دميتريفتش .

بيكليشوف ، بادي التفكّير : أدرك جيداً ، بل لعلي أدرك أكثر مما ينبغي .

---

(١) فولوكولا مسكوي : اسم مكلية ماري فاسيلييفنا .

المشهد — ٦

يدخل المدعوون ، بينهم سيّدة تتبعها ليوبوتشكا وفينيروفسكي » .

المدعو الأول : عرّفتنا للتوّ . يا للمفاجأة ! تهانينا الصادقة .

السيد : ما أعظم فرحك ، ماري فاسيلييفنا .

ايفان ميخايلوفتش : أنا ممتنّ جداً ، جداً .

ماري فاسيلييفنا : نعم ، مفاجأة . ها هما الخطيبان ، وأنا أقدّمهما لكم .

فينيروفسكي يقف ، وينظر إلى المدعوين وهو بادي التجهّم : نعم ، ياليوبوف ايفانوفنا لا بد من الحبّ الجمّ حتى أقبل بالمهمة التي أنهض بها ، ولا بدّ من الإحساس بالرغبة الشديدة في انتشالك من هذه الهوّة وفي انقاذك ، لا بد من ذلك حتى أقبل بالخضوع لهذه التفاهة الحقيرة والمُثيرة . انظري : فمع هؤلاء الناس يُراد مني أن أقيم علاقات !

ليوبوتشكا : وماذا يَضيرُكَ من ذلك ؟

ايفان ميخايلوفتش : ها هو ذا . (لفينيروفسكي) هذا عم زوجتي ، وابن عمي . أقدّمك .

المدعو الأول : اسمح لي أن أقدم نفسي كقريب مقبل ؛ تهانيّ الصادقة . (يمد إليه يده) .

السيدة : أنا سعيدة جداً ، جداً بالتعرّف إليك . سمعت الناسَ يتحدّثون عنك كثيراً . ليوبا ، تهانيّ .

(فينيروفسكي يُحيّي ، يضع يديه وراء ظهره . يدير ظهره ويبتعد نحو بيكاليشوف) .

المدعو : تبّاله ، يا له من قليل الأدب !

السيدة : ما هذه التصرّفات الغريبة مع الأهل !

فينيروفسكي ، لبيكليشوف : ما أسرع ما يدسّون أيديهم ! يجب أن نُخرسهم . . هذا أحسن ما يلائمهم .

(يتحدثان بصوت خافت)

ايفان ميخايلوفتش : تفضّلْ وادخل الصالون ، على كل حال ، حان وقتُ الجلوس إلى المائدة ، سنبارك الخطيبين . . .

المدعو : إذن ، هل وجدتَ مديراً للأعمال ، ايفان ميخايلوفتش ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! لا تخض في هذا الموضوع ، فأنا متألم جداً .

(ليوبا ، ماري فاسيلييفنا ، ايفان ميخايلوفتش ، والمدعوون ، يدخلون البيت) .

المشهد — ٧ —

« بيكليشوف وفينيروفسكي » .

بيكليشوف : القضيّة سُوّيتْ على أحسن وجه مع الآنسة دودكينا . أثنيتُ عليها وعلى الطالب ، نقلت إليها بوحتّه بالحب وربطتُهما أحدهما بالآخر حتى ليتعذّر الفصلُ بينهما . هذه إذن قد قمعتها . أما فيما يتعلّق بالعلاقات المالية فالأمور سيئة جداً . الأمُ تريد أن تمسك بزمامك وأن

تنتظر دليل احترام زوج إبنتها . . . الطريقة معروفة .
ثم إن الأب سيّء ، في رأيي . . .

فينيروفسكي : الأب يتذلّل . من أجل هذا فقط يمكن أن نغفر له كثيراً من الأشياء .

بيكليشوف : لو كان يتذلّل تذللاً كاملاً لكان ذلك حسناً ، لكن هذا المشهد ، برأيي العملي ، مُثّل تمثيلاً ، وقامت الأمُ بدور الغبيّة عن قصد . إنها ذلك الشريك الوحشي الذي لا يراه أحدٌ والذي يضايقُ الآخر في كل شيء . على كل حال ، لقد قمعت من هم أدهى منها . .

فينيروفسكي : مزعجة هذه الحفلات الحمقاء التي علي أن أتحمّلها ، في حين أن القضية ملتبسة جداً .

بيكليشوف : هيه ! وكأن هذه الحفلات تفرض عليك التزامات ! قلتُ لك : أنتَ مثاليٌّ ، تخشى دائماً أن تسيء التصرف . دَعْ هذا الهمّ . لا الشريفُ ولا اللئيم موجودان عند هؤلاء الناس . وإلاّ كنتَ المخدوعَ دائماً . انظرْ إلى الأشياء ببساطة . إذا كان عليك أن تُنْقذ صديقاً من مغارة لصوص ، فهل تَخْشى أن تَخْدع هؤلاء اللصوص . والأمرُ كذلك معهم . كل شيء متوقّف على واقعة الزواج وإلا فسوف يُقْمع الشيخ ، قبل هذا اليوم المشهود على الأقل ، على يد خادمك المتواضع . لا تهتمّ بذلك . كل شيء سيتّم على أحسن وجه . أقسم لك . هيّا إذن .

(يدخلان البيت . يسارع الخدمُ إلى النوافذ) .

المشهد — ٨ —

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا » .

الطالب : ما هذه الحركة ؟ أهي فضيحةٌ صغيرة تحدث ؟

كاترين ماتفيفنا : رسولُ حرية المرأة يتزوج صبيّةً ، نعم صبيّةً تافهة ، وغير متطوّرة . انظرْ أين يظهرُ ضعفُ المبادئ .

الطالب : هذه مفاجأةٌ حقاً .

كاترين ماتفيفنا ، **تنظر من النافذة** : انظرْ ، انظرْ ، الناسُ يباركونهما ، وهما يركعان . أجدُ هذا مفرط الخسّة ، مُفرط التحقير للكرامة الإنسانية .

الطالب ، ينظر هو أيضاً : سنيورٌ حقير ، لقد عبّرتُ لكِ عن رأيي ، لكنكِ لم تكوني تشاطرينني إياه .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمعْ ، هذا مُقْرِفٌ ، أليس كذلك ؟

الطالب : نعم ، هذا هو التطور الناقص . يا له من متحرّر صغير في دائرة الرسوم .

كاترين ماتفيفنا ، ناظرةً دائماً : وهما يتعانقان : أية علاقات حيوانية ! نعم ، عندما نرى هذا الذلّ ، فمن السهل أن نفقد إيماننا بالتقدّم . هذا درسٌ لكَ ، يا الكسي ، بافلوفتش . لكنني فوق ذلك.نعم،الكسي بافلوفتش ،أنتَ الطبيعةُ الشريفة الوحيدة بين هؤلاء الأوغاد.أنا أقدّركَ .

الطالب : نعم ، لكن ، لو كان عندنا المزيد من النساء مثلكِ ! ومع ذلك فقد أقاموا هنا احتفالاً رائعاً .

ستار .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

« شقة بريبيشيف في مركز المقاطعة . الخدم يرتّبون مائدة الاحتفال ».

المشهد — ١ —

« ايفان ميخايلوفتش ، ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، نيكولاييف وهو ملاك ريفي ورجلٌ ضخمٌ له شارب » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل لبستْ الخطيبة ؟ لقد آن الأوانُ ، وتجاوزت الساعةُ السادسةَ .

نيكولاييف : نعم ، يا ايفان ، لولا حبّي لك لما رضيتُ بأن أحضر هذا الزواج . وأنا أحضر من أجلكَ فقط . لا أُحبّ هذا السيد . وما هذه الطريقةُ في التصرّف ؟ انتظرْنا مرّتين دون أن يُطلّ علينا . ما هذا ؟ لا يأتي ليتعرّف إلى أقارب خطيبته ؟ وهل يحتقرُنا إذن ؟

ايفان ميخايلوفتش : آه ! ما هذا الكلام ؟ ماذا تريد منه ؟ ليس له أهل يعلّمونه العادات ، ثم هناك همومُ الزواج . . . فالزواج ليس مزحةً ، ولا بدّ من شراء كل شيء ،

وترتيب كل شيء . ولعل الوقتَ لم يُسْعفْه.أنت . منزعج جداً . أنتَ رجل طيب ، لكنك سريع التأثر .

نيكولاييف : لا ، يا صديقي ، لا تَعْذرْهُ . . . لو كان ذلك مرةً واحدةً لقبلنا ، لكننا انتظرناه أمس حتى السادسة . كان يجب أن يُعْلمنا بأنه لا يريد أن يتعرّف إلينا باعتباره سيداً عظيماً — كنا عامنا بذلك وكنا جلسنا إلى المائدة منذ الرابعة ؛ على الأقل ، ما كان الطعام ليُسخّن من جديد . لا ، يا عزيزي ، لا أُحبّ الانتظار .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! تفسيرك ظالم . لم يكن قصدهُ سيئاً . . . فهو رجلٌ مرموقٌ ، ذكي ، متعلم . . . وعندما تعرفه معرفةً أفضل فستُغيّر كلامك . كنت أقول الشيءَ نفسه قبل معرفتي به . كلُّ ما في الأمر أن عائقاً عاقَ ... ثم يجب أن تأخذ بعين الاعتبار ، يا صديقي ، أن الزمن تغير ، فلم تعد الأمور كما كانت في أيامنا ، تغيّرتْ شروطُ الحياة ، وبليتْ كثيرٌ من العادات .

نيكولاييف : تذكّرْ كلماتي.ستُلاقي متاعبَ في هذا اليوم بالذات ... ماذا تقول ؟ منذ هنيهة فعلَ الشيءَ نفسه : كان عليه أن يأتي ليأكل الفطائر ، وانتظرناه حتى الساعة الثالثة . ومع ذلك فلم يأتِ ، وأكلنا فطائر حامضة . تذكّرْ كلماتي . بل إني أتساءل ، يا صديقي ، (يأخذه على حدة) . إن كنتَ لم تلحقْ به غُبْناً فيما يتّصل بالمهر . قلْ لي الحقيقة كاملةً . هل أعطيتَه شيئاً ؟ أو أنك لم تُعْطه بعد ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعترفُ لك ، يا صديقي ، أنه لم يطلبْ مني شيئاً . في البداية ، حدّثْتُه عن ذلك ، لكنه أبى الحديث . وحدّثته مرةً ثانية فكانت النتيجة نفسها ، وأجابني : لا حاجة بي إلى المال . . . وبعد ذلك ركبتْ زوجتي رأسَها . . . حينئذ صمّمتُ أن أؤجل . قلتُ في نفسي : هو يعلم أنْ ليس عندي سوى بنت وأنني سأخصّص لها أملاك فولوكولامسكوي ، سأرى كيف سيعاملها ، ويمكنني أن أعطيه هذه الأملاك . أما الجهاز فأستطيع أن أقول : إنه تام .

نيكولاييف : الجهاز ليس شيئاً ، يا صديقي ، ليس سوى خرق . هؤلاء الشباب الأشدّاء اليوم يحبّون المال أكثر ممّا نحبّه ، ولا سيما المالَ نقداً . ليس هذا حسناً ، فقد يخدعك خدعةً خبيثة ؛ سترى .

ايفان ميخايلوفتش : يا للغباء ! لكن انتظرْ ، أي « مادير » سأذيقُك إياه ، خمر معتّقة منذ عشرين سنة — مُتعة !

نيكولاييف : دقيقة ، اشرحْ لي كيف سيتم الاحتفال . هل سيكون حسب التقاليد ؟ نقودُ العروس إلى الكنيسة — وبعد ذلك؟

ايفان ميخايلوفتش : بعد ذلك ، ستذهبون إلى بيته ، بدون والديْ العروس طبعاً ، حسب العادة . ومن المحتمل أن يقدّم لكم الشاي . . . كما تعلمُ ، والسكاكر ، والفواكه للفتيات ، ثم الحساء في أقداح ، والسمك . . . ووليمةُ عزب . . .

وتحضرون سفرَ العروسين . وسنأكل ونشرب على صحتهما . . . وأيّ « مادير » ، أيّ خمر هنغاري ! ليتاك تعلم . أبي جاء به من إحدى حملاته منذ خمسة وأربعين عاماً . . . وأخيراً نقدّم العربة . . . ونضع فيها الجهاز ، ونبارك العروسين ، وسيسافران إلى الخارج ، إن شا الله .

نيكولاييف : يا لهذا الابتكار الأحمق ، وإن يكن انكليزياً ! الإنكليز ، على العموم ، يبتكرون بعقل ، أمّا ما تفعله هنا فهو غباء ! كيف يجوز السفرُ بعد الزواج ؟ هذا جائز لك لأنك تملك عربةً فخمةً ووصيفةً وغير ذلك ، لكن كيف تكون الحال عندما يكون الناس فقراء ؟ هل يسافرون في عجّالة وبدون خدم ؟ . . . ثم ، بدلاً من أن نترك للعروس الوقتَ كي يذهب عنها روعُها ، تصرخ بها : حا ! دي ! تَقَلْقَلي ! . . . هذا حُمْقٌ !

ايفان ميخايلوفتش : ما الحيلةُ ، يا صديقي ؟ هذه هي البدعة الجديدة . لكنّ في هذه البدعة شيئاً حسناً . (يدخل الخادم حاملاً أواني فضيّة وصحوناً) . ما الأمر ؟ أرسلتُه إلى بيت العريس ليحمل هذا كله . . . فالعزبُ ، كما تعلم ، قد يحتاج إلى شيء من ذلك . . . (للخادم) . ما الأمر ؟

الخادم : **قال** : « لا حاجة بي إلى هذا » .

ايفان ميخايلوفتش : مَنْ الذي قال هذا ؟

الخادم : السيد نفسه خرج وقال لي : لا حاجة بي إلى هذا ، أَرْجِعْ بها كلها .

ايفان ميخايلوفتش : أرأيتَ ، عنده كل ما يلزم . لا بد أنه حصل على ما يكفيه . وكيف لا يُرهَقُ شابٌ بالعمل ؟ (تمرّ خادمة) . ماذا ، ألم تَنْته العروس بعد ؟

الخادمة : ما زالت ترتّب شعرها .

(تنصرف) .

نيكولاييف : وهل أهْداها هديّةً ؟ مجوهرات ، أو شالاً ، جرياً على العادات ، كما تعلم .

ايفان ميخايلوفتش : هيه ! مَنْ الذي يهدي هدايا اليوم ؟ ثم ماذا يعطي ؟ الحبّ هو الثمين لا الهدية . أعطاها مقصّاً ، أعتقد...

نيكولاييف : تستطيع أن تبصق في وجهي إن لم تحدث اليوم فضيحةٌ مُخْزية ! ما هذه البدعة التي تتحدّث عنها . لا يتزوج المرءُ كلَّ يوم مرةً ، أليس كذلك ؟ إن كان هذا لا يرضيه ، فليُرْضِ الفتاةَ على الأقل . . . هذا مُفْرِحٌ لها . ما هذا المقص بأربعة فلوسَ ؟ . . . لا معنى له . . . لو ذهبتُ إلى النساء . . . آه ! هذا هو الوصيف .

المشهد — ٢ —

« يدخلُ الوصيف » .

ايفان ميخايلوفتش : وهل جاء العريس ؟ نحن جاهزون . ليوبوتشكا ، انتهيت .

صوت ليوبوتشكا: أنا آتية .

الوصيف : هو بالسترة الرسمية .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ ما هذا ؟ يجب أن تقول له أن ليوبوتشكا سترتدي ثوب الزفاف الأبيض ، اذهبْ وأخطرْهُ بسرعة .

نيكولاييف : قلتُ لكَ : ستحدثُ فضيحةٌ .

(يخرج الوصيف) .

المشهد — ٣ —

« تدخل ماري فاسيلييفنا ، المربّية ، ليوبوتشكا ، بطرس ، الآنسات والخادمة » .

ليوبوتشكا : أأنا جميلة ، بابا ؟

الآنسة الأولى : كم تناسبُكِ أزهار البرتقال . ستُعطينني واحدةً من إكليلكِ ، إذا شئتِ .

الآنسة الثانية : ماذا ، هل ستضعين شالَ العروس ؟

الآنسة الثالثة : كيف يجوز هذا ؟ شيء ملوّن مع ثوب العروس ؟

الآنسة الأولى : لكنْ بما أنه بالسترة الرسمية .

الآنسة الثانية : شيءٌ لا يُصدّق !

ليوبوتشكا : سأحاول ، لأنه طلبَ ذلك مني . يجب أن أضعه . (تدور أمام المرآة) . لا . مستحيل . وسأضعه في جيبي .

الوصيف : انتظروا . . . باركوها . . .

نيكولاييف ، يباركها ويقبّلها في جبينها : ليَمْنَحكِ الله السعادةَ . ما أجْملَها !

(ليوبوتشكا تقبّل الجميع . النساء يبكين) .

المشهد — ٤ —

« يدخل الطالب وكاترين ماتفيفنا ويقفان بصمت » .

ايفان ميخايلوفتش : ليُسْعدْكِ الله ! . . . كفّي عن البكاء ، نيانا : هذا غباء . . .

المربّية ، باكيةً : لن أراكِ ، يا شمسي ، بعد الآن أبداً .

ليوبوتشكا ، للوصيف : انتبهْ ، لا تضعْ الإكايل(١) على رأسي . بيتروشا ، ضَعْهُ أنتَ على رأسه .

ماري فاسيليفنا : لا تَنْسَيْ أن تضعي قدمَكِ قبله على السجادة . هل أخذتم الشموع ؟ نيانا ، خذي هذه النقود . . . ارميها عند أقدامهما . . .

المربية : سنفعل كلّ شيء . . .

نيكولاييف : أنا واثق من أن الفضيحةَ ستقع .

ايفان ميخايلوفتش : حسناً ! لنقدّم الشكرَ لله . . . والآن ، يجب أن نُعدّ كل شيء...لم يحن أوانُ الوداع بعد ،أليس كذلك ؟

(يخرج الجميع واحداً واحداً ، ما عدا الطالب وكاترين ماتفيفنا)

---

(١) لا تضع الاكليل : اثناء مراسم الزواج .

المشهد ـ ٥ ـ

« كاترين ماتفيفنا والطالب » .

كاترين ماتفيفنا : نعم . ما يزال يوجدُ أفرادٌ لم يتأثرْ وجدانهم إن صح القولُ ، إلا بأطراف المفاهيم الجديدة ، دون أن تنفذ هذه المفاهيم إلى دمهم ولحمهم . لقد أخطأتُ خطأً شديداً في فهم هذا السيّد .

الطالب : ذالك لأننا لا ينبغي أن نصدّق الكذب إذا شئنا ألا نقع في الخطأ ، كما كان يقول أستاذُنا في علم النفس . إن هذا لذو طبيعة تافهة . هذه هي النقطة الأساسية .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ ليَ ، اسمحْ لي ! كيف تُفسّر هذا الحدثَ ؟ كل إنسان مُفكّر لا بد أن يعلم ان الانجذاب الذي تشعر به نحو الجمال ليس سوى مظهر منحطّ للطبيعة البشرية . فكيف يمكن لشخصية مثل شخصية هذا السيّد ألاّ ترى بشاعة هذا الهوى كلها ، وعمق هذا التردّي كله ؟ كيف لم يدرك أنه لا مجال لنهوض مَنْ وَضَعَ قدميه في هذا الوسط ، وخضَعَ لأحكامه المسبقة ، وتنفّس هواءه القاتل؟ ومع ذالك فهو يفهم حريةَ المرأة . وأنا أملكُ أدلّةً ...

الطالب : هو ، بأعماق طبيعته ، سنيورٌ تافه . هذا كل شيء . كَفَتْني نظرةٌ خاطفةٌ أَلْقيتُها على هذا الرجل لأتأكّد من أن كل شيء فيه زائفٌ . مهما قلت فان رجلاً يعمل في دائرة الرسوم ، ويملك شقةً وعربةً ، ويحصل على

مرتب يبلغ ألفي روبل ، لا يمكن أن يكون رجلاً حديثاً ؛ إنه « سنيور » جديد ، هذا كل شيء . وكيف لا ! وقد قال أمامي ذات يوم : إن الطلاب صبية ! . . . هذه هي فكرة هؤلاء السادة ! كل هذه الجماعة الكريمة تافهة لا قيمة لها ، يا صديقتي المحترمة ! شبعتُ من ذلك كله ! يجب أن أذهب إلى موسكو .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، لقد نَفَذْتَ إلى طبيعته بحدْس الغض خيراً مني . تذكّرتُ الآن أنه قال لي : إن المنعكسات ضارّة ! سيّد تافه . . . وينحطّ هكذا بزواج مسرف في تفاهته ، تحيطُ به رموز التفاهة ! والزواج بسَن ؟ بشخصية تافهة . .

الطالب : هيه ! لا ، البنتُ ليست سيئة . . . كان بوسعها أن تتطوّر أكثر . ففيها إمكانات . . . لكن الوسطَ حطّمها . إني أضجرُ ، وسأسافر إلى موسكو . . . سأحضر المحاضرات هناك وسأشتغل .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي . ليس في موسكو محاضرات تَحْضرها . والأساتذة لم يتطوّروا فيها كثيراً . أنا نفسي أحبّ أن أذهب إلى بطرسبرج أو إلى موسكو لأتعلّم شيئاً من الفيزيولوجيا . . . نعم ، هذه قناعتي . لكن دروس أيّ أستاذ أحضر ؟ ليس في بطرسبرج أحد .

الطالب : اوه ! ومع ذلك فهناك رفاق أحياء لا يفوحُ العفنُ منهم كهؤلاء الذين هم هنا .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، أنتمْ أحسنُ حظاً منّا . بينما نحن ، النساء ، كيف نستطيع أن نرتّب حياتنا ؟ أنا أيضاً كنتُ أنوي السفر لأدخل الجامعة ، لكن يجب أن أعرف موضوعياً الشروطَ التي سأعيش فيها هناك ؛ لأن من الصعب علينا ، نحن أصحابَ التقدّم ، أن نكتشف الطريق التي لا نكون مُضْطَهدين فيها على أيدي الرجعيين والمحافظين . لم أعدْ أطيقُ البقاءَ هنا.أحسّ بذبول جميع الأسس الشريفة والمتحرّرة في طبيعتي والتي تشكّل قوتي . وعما قريب – شيءٌ رهيب – بدلاً من أُشْبهُ مَثَلي الأعلى ، أصبح أقربَ إليه فقط . . . ما العمل ، الكسي بافلوفيتش ؟ إن لدك طبيعة غضّةً ، كريمةً ، لم تفسدْ ، وأنت ترى بوضوح أكبر مما أرى . أنقذْني ! أنقذ المرأة التي تضيعُ ،المرأة الحرة ، ولعلها المرأة الوحيدة الحرة كلّياً . نعم ، أحسّ أنني أضيع ؛ وأن الفرح بالتحرّر من الأحكام المسبقة ينطفىء ، هذا النور الذي كنتُ أحيابه . لقد صدمني هذا الرجلُ صدمةً رهيبةً ، وزعزع إيماني بالتقدّم . أنقذْني ، الكسي بافلوفتش ، فأنت رجلٌ نقي ، رجلٌ حقيقي ! . . .

الطالب ، متأثراً : ما أشرف شخصيتَك ! . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، اسمحْ لي ! أنا أذبل ، وهم جميعاً سينتصرون ، سيقولون : انظروا ، لقد كانت تريد أن تكون حرّةً ، لكنها مثلنا . وسيشمتون . . . علّمني ما يجب أن أفعله . . .

أنا أقدّركَ تقديراً عميقا ، أنتَ وحدكَ بين هذه الجماعة التي تُحيط بي ! . . .

الطالب ، يشدّ على يدها: أستطيع أن أقول : إني لم أعرفْكِ قبل هذه اللحظة . كان يبدو لي — سأكون صريحاً تماماً — أنكِ لم تكوني متشبّعة كلياً بقناعاتنا . أما الآن فأنا أرى بوضوح علوَّ مفاهيمك وصدقَها .

كاترين ماتفيفنا ، تشدّ على يده شدّاً موجعاً : نعم تألمتُ كثيراً وفكّرت كثيراً . بالنسبة إليّ لا رجعةَ إلى الوراء . إني أكره التخلّف عن العصر ، وأنا أنتمي كليّاً إلى الأفكار الجديدة . لاشيء يمكن أن يوقفني ، وأنا أقدّرك ، أقدّرك تقديراً عميقاً . قلْ لي : إلى أين أهرب حتى أتمكّن من التنفّس بصورة أسهل . كل ما يحيط بي هنا يَضْغط عليّ . نصيحتُك وحدها هي التي سأتّبعها . أنا أنتظر .

الطالب ، **يفكّر** : نعم ، أنا أعرف حلقةً تستطيعين أن تشغلي فيها المكان الذي أنت مؤهلّةٌ له . نعم . لكنني أخشى مع ذلك أن تكون هذه اندفاعةً ، وأن تخافي بعد ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ،اسمحْ لي ، كيف تستطيع أن تُثْبتَ ذلك ؟

الطالب : انظري ، أنا نفسي شبعتُ من الحياةَ في موسكو ، من الفقر ، ومن فقدان العمل المأجور بانتظام . أما التسكع في قاعات المحاضرات والاستماع إلى ثرثرات الأساتذة الفارغي الرؤوس . . . وأما تعليم الأولاد ذوي الآباء الممتلئي الجسوم ، فقد كان أيضاً أشدّ غباءً . كنتُ أطمحُ إلى

حياة مختلفة . وفي بطرسبرج حلقةٌ من الناس شرعوا بعمل حسن . لقد أسسوا مشاعيّةً ، وإلى هؤلاء الناس أريد أن أنضمّ . . .

كاترين ماتفيفنا ، ممسكةً بيدهِ : الكسي بافلوفيتش ، أوضحْ لي الأمر ! أحسّ أن هذه المشاعية مكونةٌ ، على وجه التحديد ، من هؤلاء الشخصيات الذين أبحث عنهم . . . الكسي بافلوفتش ، إني أرتجف من الانفعال . . . أنْقذني !

الطالب : وهؤلاء الناس يعيشون في بطرسبرج . أحدهم صديقي . تخرّج من المدرسة الدينية . وهو معروفٌ في العالم الأدبي بفضل نقده لقصة : « طيور الترنجبي » ، ولعلك قرأتِها ؟ ومقالته هذه لافتة للنظر ، لأنه يَعْرِض فيها آراءَهَ عن تقدم الأفكار في مدارسنا الدينية .

كاترين ماتفيفنا : مقالة لافتة للنظر ، قرأتُها . مقالة بديعة ، بديعة .

المشهد –٦–

« يدْخل بيتروشا ويقف من غير أن يُلاحَظَ ، ويستمع » .

الطالب : فهذا السيد كتبَ إليّ يقول : إنهم نظّموا في بطرسبرج مشاعيةً . كانوا في البداية ثلاثةً : طبيباً ، وشاباً لا صنعة له ، وطالباً . مشروعٌ عظيم الأهمية . يجب أن أقول لكِ : إنهم اجتمعوا من أجل الحياة المشتركة . فالسكن والغذاء والدَخْلُ والنفقات ، كل ذلك مشتركٌ عندهم . وهم يسكنون شقةً جميلة ، وتعيش معهم امرأتان . كلٌ منهم

ينهمك فيما يحلوله ، والكل غرفتُه ، وهناك فوق ذلك غرفةٌ مشتركة . والنساء يعشْنَ معهم دون أن يرْتبطن بأيّ التزام . هنّ حرات ، يشتغلن . . . بشغل المنزل . . . وبالأدب... الزواج غيرُ موجود، والعلاقات حرة تماماً. بدؤوا بعدد صغير ، وهم الآن ثمانية عشر ، على ما قيل لي ، وعددهم آخذٌ في الأزدياد . أنتِ تدركين الأهمية العظيمة التي يمكن أن تكون لهذا المشروع . وفضلاً عن ذلك ، كتبَ إليّ رفيقي : إنهم قد لاقوا بعض المزُعجات التي مالبثتْ أن أُزيلتْ ، وأن الحالة النفسية لهذه المشاعية لا يمكن تصوّرها . والناسُ يتغيرون تغيّراً تاماً منذ أن يصبحوا أعضاء فيها .

كاترين ماتفيفنا : والمرأةُ حرّةٌ فيها ؟

الطالب : كليّاً . الخطرُ الوحيدُ الذي يتهدّدهم يأتي من الحكومة ، إذ من المفهوم أنّ مثل هذه المؤسسة لا بدّ أن تكون لها أهمية عظيمةٌ . هذا هو المشروع الذي تحقّق ، وهكذا أستطيع أن أعيش بدلاً من أن أُعلّم ولداً ضخماً لأب ضخم . لو كان عندي فقط بعض الموارد الصغيرة . نعم لم أكلّمْ أحداً عن هذا ، لأن هذا الشيء يهمني جداً . لكني أقوله لك الآن ، لأنني أرى أن المسألة ليست تولّعاً عابراً وإنما هي قناعةٌ قوية . . .

كاترين ماتفيفنا تضرب رأسها ، بشدة : بديعة ! تلك المشاعية ! إنها فكرة عظيمة ! هذا مدهش ! نعم ! إني أرى في

روسيا فجرُ التقدم الحقيقي يبزغ ! نعم ، تفير دنيسكوي ، أنا واحدٌ منكم !

الطالب : آه ! كيف تنكشف الطبيعةُ الشريفة ! ومع ذلك ، فكرّي . القضية جميلة جداً ، لا جدال في ذلك ، لكن . . .

كاترين ماتفيفنا : أنا عضوةٌ في المشاعية . . اكتبْ إلى صديقك ، أنّ للمشاعية منتسبيْن جديدين منذ الآن :

أنتَ وأنا . ومن جهتي ، سآخذ المال الذي بحوزتي ، وسأكتب إلى إيفان ميخايلوفتش لكي يبيع أرضي ويرسل المال إلى المشاعيّة ، وسوف أذهب معك إلى بطرسبرج . وسأشرع بكتابي عن أهمية العمل الفكري النسائي . تفير دنيسكوي ، لقد أخطأتُ مرةً خطأً شديداً ! أنتَ لن تخون مبادئنا ؟

الطالب : لن أحترم نفسي إذا أمكنني أن أخونها ؛ سنسافر ، وكلما كان ذلك أسرع ، كان ذلك أفضل .

كاترين ماتفيفنا : إلى اللقاء ، سأكتب إلى ايفان ميخايلوفتش ، وسأشرح له كل شيء في الرسالة ، لأني لا أريد أن أراه بعد الآن .

الطالب : هناك أيضاً ظرفٌ سيّء ؛ لقد طلبتُ إليه سلفةً بثلاثين روبلاً .

كاترين ماتفيفنا : ليس معي ثلاثون روبلاً ، لكني سأكتب إليه ليخصمها من ثمن أراضيّ .

الطالب : لا شك أن المشروع الذي نشرع به من الأهمية بحيث يمكن أن تُنحّى جانباً الاعتباراتُ المالية . غايتُنا تبرّر الوسائل .

بيتروشا ، يظهر : اسمحْ لي أن أقول لك : إنني لست ابناً ضخماً لأبٍ ضخم ، لكنني إنسانٌ يدُرك غاياته مثلك . من الخطأ التفكير هكذا .

الطالب : كنتُ أتكلّم على العموم ، دون تطبيق شيء عليك .

بيتروشا : ليس ذلك نبيلاً ، بل إنه حقير . جئت لأقول لك : إنني ، أنا أيضاً ، لا أريد أن أبقى في هذا البيت . فحصتُ وضعي واقتنعت أن الأسرة هي العقبة الأساسية أمام تطوّر الفردية . يريد أبي أن يبعث بي إلى المدرسة الثانوية ، على أنني متأكدٌ أنني تخطّيتُ بالتطورّ جميع أساتذتي . قرأت منذ فترة وجيزة « بوكل »(١) . إنه يقول الشيءَ نفسه . سأذهب إلى موسكو .

الطالب : ستثيرُ فضيحةً ، هذا كل شيء . لن يُسْمَح لك بالذهاب .

بيتروشا : لستُ طفلاً الآن . حدّثتُ أبي . هو يطلب أن أبقى في الثانوية ، لكني سأذهب وحدي إلى موسكو ، وسوف أذهب .

الطالب : بطرس ايفانوفتش ، ستُحدث فوضى عظيمةً لا أكثر . . . لا نستطيع أن نأخذك معنا .

بيتروشا : سمعتُ حديثكما . سأدخل المشاعية معكما وسأدرسُ العلومَ الطبيعية . لم أعد أطيق نبرَ السلطة الأبوية .

---

(١) بوكل (١٨٢١ – ١٨٦٢) مؤلف تاريخ مشهور هو : تاريخ الحضارة في انكلترا ، وكان يقرأ كثيرا في روسيا ، في هذه الفترة .

الطالب : أنت تتكلم دون تفكير . ما تزال صغيراً .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، أنتَ تنسى واجبك . ليس لنا الحق في قمع حرية هذه العاطفة الشابة واندفاعتها . يا بطرس بريبيشيف ، سأرشّحكَ لعضوية المشاعيّة .

بيّروشا : كاترين ، أنا أقدّرك . متى تسافرين ؟ اليوم ؟ إذن ، سأحزم متاعي . سأمرّ فقط على فينيروفسكي ، لأنني أرغب في أن أرى هذا الاحتفال الحقير لكي أزداد سخطاً .

الطالب ، برفق لكاترين ماتفيفنا : أخطأتِ حين ضَمَمْتِه إلينا . هذا صبيّ .

كاترين ماتفيفنا : تفيردنيسكوي ، الناسُ جميعاً متساوون ، الناس جميعاً أحرار . هيا ، يجب أن نستعدّ ونكتب رسائلنا . بطرس ايفانوفتش ، اعرضْ مفاهيمك لوالدك .

بيّروشا : إني أفكرّ في ذلك . . . الأسرةُ عقبة . . .

(ينصرفون)

ستار

اللوحة الثانية

« بيت العريس . شقة عزب بالية ، بدون أية استعدادات . أوراق وحقائب مبعثرة » .

المشهد – ١ –

بيكليشوف ، موظف ، شيخٌ قصير ، قريب العريس ، بعقدة فراشة ؛ الحارس الذي يحزم المتاع » .

القريب : كيف ذلك ، سيرج بيتروفتش ؟ أهكذا سيُسافر ؟ أعتقد أن هذا لا يجوز .

بيكليشوف: هكذا سيُسافر ، يا سيدي . هذا ما يلزم . سيعود من الكنيسة ، ويرتدي معطفه ويسافر . وقد قلتُ لك : إن أناتول دميتريفتش لن يكون مسروراً برؤيتك، سوف تتأكد من ذلك . لو كان الزواج احتفالياً، لكان ذلك مقبولاً، لكنهم يريدون أن يُتمّوا ذلك بأكبر قدر من التكتّم .

القريب : حسناً ! سأنصرف إذا أردتُم ، لكني أقول في نفسي : إن ابن أخي لن يجد فيَّ ما يَخْجلُ منه أمام أهل عروسه . لو كان أخوه نيكيتا ، وهو رجل فاسق ، أولو كان ابن عمي ، لحقّ له حينئذٍ ، في حين أني أنا مستشار في الكلية(١) ورجلٌ معروف . لن أغضّ من قدره .

---

(١) مستشار في الكلية : مرتبة مدنية من الدرجة السادسة تعادل رتبة عقيد في الجيش.

بيكليشوف : ليست المسألة هنا ، يا عمّ . ليس هذا زواجَ تُجّار(١) ، ولقد تقرّر أن العروسين ، عندما يخرجان من الكنيسة ، سيركبان عربتهما ويسافران إلى الخارج . (يخاطب الحارس). هل العربة جاهزة ؟ لا تنسَ أن تضع المفتاح تحت المقعد الأمامي . والدهن ؟ إذا لم أهتم بكل شيء أنا نفسي . . . وخذْ هذه الحقيبة . (للقريب) . أوه ! أنت ! لشدّ ما تُزعجني ! . . . ولماذا وضعتَ هذه الربطة البيضاء وهذا الوسام ؟ . . . كل هذا مضحك . انظر ، أنا بالسترة الرسمية ، والعريس كذلك .

الغريب : أنا راجعٌ ، أنا راجعٌ . قلْ لي فقط ، هل تلقّى « توليا»(٢) مهراً حسناً ؟

بيكليشوف : ما « توليا » هذه ؟ . . . رجل ابن خمسة وثلاثين عاماً . . . لم يتلقّ شيئاً . خدعوه .

الغريب : لا ، لعلك تمزح ؟ أنتم لا تحسبون حساباً للقرابة ، أما نحن ، أبناء الزمن القديم فكنا نأمل . . . قلْ لي الحقيقة ، كيف ، « لم يتلقّ شيئاً » ؟ ايفان ميخايلوفتش ليس فقيراً . مع ذلك . . .

بيكليشوف يقف مقابله ، بينه وبين نفسه : ليُذِعْ ذلك في المدينة .

---

(١) زواج تجار : عندما كان التجار الاغنياء يتزوجون في روسيا ، كانوا يدعون بل يستأجرون شخصا له رتبة ، والافضل ان يكون جنرالاً متقاعدا مزدانا بكل اوسمته ، وذلك لكي يعطوا حفلة الزواج بريقا ورونقا .

(٢) توليا : تصغير اناتول .

(بصوت عالٍ) . انظرْ كيف خدعوه . منذ شهرين ، أعرب عن رغبتة في الزواج ، فأرادوا أن يكلّموه في المهر ، لكنه تصنّع رقّة العاطفة وأجاب إنه ليس بحاجة إلى ذلك . . . يا لهؤلاء المثاليين !

القريب : يا إلهي ! يا للغباء !

بيكليشوف : ولقد انتظرنا ساعة فساعة . . . وأشْعَرْناه . . . فلم يُجدِ ذلك شيئاً . كان يتحرّج من الكلام . كان يقول : سأضيع سمعتي من جراء ذلك ، وهي أغلى عندي من المهر . . . وكنت أنوي أن أذهب وأعبّر عن رأيي بصراحة ، لكنه كان يمنعني : انتظرْ ، انتظرْ . . . أما الغبيّ الآخر فقد صدّق حقاً أن المال ليس ضرورياً في هذا العصر الحديث ، ولم يُعْطِ شيئاً حتى الآن . فانظرْ إلى أين تقود رقّة الإحساس . ! طيب ، يا ايفان ميخايلوفتش . . . انتظرْ قليلاً . . .

المشهد – ٢ –

« يدخل العريسان والضيوف . التهاني . تجلس الفتاة . يتنحّى فينيروفسكي جانباً » .

فينيروفسكي : ماذا ، هل كل شيء جاهز ؟ (لقريبه) . مالكَ ، في الحقيقة ، تضايقني بتهانيك ؟ مع أن أحداً لم يطلبْ منكَ ذلك . . .

القريب : أُهنئك من كل قلبي . توليا . (بهدوء) سمعت أن الأمور غيرُ مُرضية فيما يتّصل بالمهر . . .

فينيروفسكي : ماذا سمعتَ ؟ ما هذه الحماقات ! أنا طلبتُها بلا مهر . . . (يتنحّى) . لِتغربْ عني ، هذه العصابةُ من الأغبياء ! ...

المشهد — ٣ —

« يدخل بيتّروشا » .

بيتّروشا : آناتول دميتّريفتش ، أنت منذ الآن صهري ، لكنني اعتبركَ مجرّد رجلٍ فقط .

فينيروفسكي : أرجوك أن تُعفيني من هذه الحماقات . ماذا تريد ؟

بيتّروشكا : كلّفني أبي أن أقول لك : آن تأتي بسرعة إلى العشاءَ . إنه ينوي مباركتكما قبل سفركما . آملُ ألا تذهب . فكل هذا حمقٌ . لستُ أشاطرهم هذه الأفكار . أنا نفسي سأهجرُ منزلَ والدي .

فينيروفسكي : طيّب

(يبتعد هو وبيكليشوف .)

بيكليشوف :أرأيتَ ، يا أخي ؟ لقد تنبّأتُ بذلك . أنتم المثاليون لا تصغون إلى العمليين مثلنا . أرأيت ؟ حصلتَ على المرأة ولم تحصل على المال .

فينيروفسكي : خنازير !

بيكليشوف : لم نخسر المباراة بعد . سأذهب وأوضح رأيي . تستطيع

أنت الآن أن تختار بين طريقين : أن تذهب إلى بيته وتلاطفه وتتملّقه ، أو أن تسافر وتحرّكها . اخترْ .

فينيروفسكي : مَنْ تظنّني ؟ لن أفعل لا هذا ولا ذاك . سأسافر فقط بأسرع ما يمكن . هل رتّبتَ كل شيء ؟

بيكليشوف : نعم ! الحبال ، الدهن . . . فكرّتُ في كل شيء . . . ستسافر إذن بالمركبة القديمة ؟ كنت تنوي السفر في عربة فاخرة ذات أربعة جياد . . .

فينيروفسكي : كيف يمكنني السفر في مثل هذه العربة . نحن ناسٌ فقراء ، ولا نريد أن نُدهشَ أحداً ، على شرط أن يكون ذلك شريفاً .

الضيف الأول ، في الجمهور ، كأن العريس منحرف المزاج .

الضيف الثاني : ومع ذلك يجب أن نهنّئه .

الضيف الثالث: نعم ، اذهبْ إليه ، حاولْ قليلا ! سيقطع عليك الكلام . . .

الضيف الرابع : سأطلب منه شمبانيا .

(يشعل فينيروفسكي سيجارةً ويمشي) .

نيكولاييف : حسن ، حسن جداً ! (يقترب من العروس ويمسكها برأسها) . تهانيّ مرّةً أخرى . أنا ذاهب إلى أبيك . . . هيّا . . . (بينه وبين نفسه) . يا لها من امرأة صغيرة رُثى لها . . .

ليوبوف ايفانوفنا : انتظرْ ! ماذا ، توليا ، ألا نذهب إلى أبي ؟

فينيروفسكي : من فضلك ، لا تناديني توليا ؛ فهذا ظاهرُ الغباء .

ليوبوف ايفانوفنا : كأنك متكدّر المزاج . أنا أيضاً أحسّ بالانزعاج ... ليس هذا ما كنتُ أنتظرُه .

فينيروفسكي ، بابتسامة متكلّفة : لا ، لا ليس بي شيء . (يجلس بجنبها) . فلي همومٌ كثيرةٌ : يجب أن نستعدّ للذهاب ، وهؤلاء الضيوف الحمقى . . . ماذا يلزمُهم ؟

ليوبوف ايفانوفنا : كيف تريد ، آناتول ؟ كل هؤلاء أقرباء وأصدقاء ، من أقرب الناس إلينا لا غير ، وقد أسخطْنا الكثير منهم حتى الآن . هلاّ ذهبنا إلى منزل بابا ؟ ومن هناك مباشرةً... عندما أفكرّ أننا سنكون في الخارج بعد اثني عشر يوماً . . . ما ألْطفَ ذلك !

فينيروفسكي : لن أذهب إلى منزل أهلك ، يستحيل ذلك عليّ . وأرجوك ألاّ تحزني بسبب ذلك . وماذا سنفعل هناك ؟ كل هذه المراسم أرهقتني . وكيف استطعتُ احتمالها ؟ يا لهذا الغمّ !

ليوبوف ايفانوفنا : وأنا ؟

فينيروفسكي : طبعاً !

الوصيف ، مقتربا : آناتول دميتريفتش ، الضيوف يرغبون في تهنئتك .

فينيروفسكي : حسنٌ ، وما المطلوبُ مني ؟ .

الوصيف : لكن . . . لا بدّ من الشمبانيا .

فينيروفسكي : بيكليشوف ، اسقهم نبيذاً ؛ هل عندنا نبيذ ؟ نعم ، ها هو ذا . (يأخذ زجاجةً ويضعها على الطاولة) . ليشربْ مَنْ شاء أن يشرب . ليوبا ، غيرّي ملابسك ، حان وقتُ السفر .

ليوبوف ايفانوفنا : طيب . لكن إلى أين ؟ دنياشا ليست هنا .

فينيروفسكي : ما حاجتُكِ إليها ؟ سأساعدك ، ثم هناك الطاهية . عجّلي ، من فضلك .

(تذهب ليوبا) .

الوصيف : على صحة العروسين !

فينيروفسكي : على صحة مَنْ شئْتَ ، عجّلْ فقط .

التلميذ الثانوي ، وهو يشرب : على صحة حرية النساء ! . . .

فينيروفسكي : آن أوان السفر .

التلميذ : . . . ثم على صحة العلم والحرية ! وأين العروسان ؟ (ينسحبُ المدعوون شيئاً فشيئاً) . وداعاً ، يا سادتي ، أنا ذاهبٌ . على صحة العروسين .

(يرتدي فينيروفسكي معطفه ويضع قبّعته) .

ليوبوف ايفانوفنا ، تظهر : الوداع ، يا سادة ، ! سلّموا على أبي ! وداعاً .

بيتروشا : سنتلاقى . . . أريدُ الحريةَ .

نيكولاييف : قلتُ إنه لن يكون هنا شيء حسن . نَذْلٌ ! يعتقد أن هذه هي البدعةُ الجديدة ! نَذْل !

ستار

الفصل الرابع

المشهد – ١ –

« منزل آل بريبيشيف . الغرفة نفسها التي في المشهد الأول . طاولة موضوعة للعشاء . المدعوون يجلسون زمراً زمراً . آل نيكولاييف . ماري فاسيليفنا بثياب الأحد . ايفان ميخايلوفتش مع الوسيط »(١) .

ماري فاسيلييفنا : تأخرا . (تنظر إلى الساعة) . وقد حان الوقتُ .

ضيف : لا بد أن الناسَ أخروهما . لنشربْ على صحتهما . (يشرب). وأين صارت قضيتُكَ ؟

الوسيط : ماذا قلتَ ، ايفان ميخايلوفتش، أأنت مصمم بالنسبة إلى الاسترجاع ؟

ايفان ميخايلوفتش : أعطيت، مجاناً أراضي غريتسوف البور ، وتنازلتُ عن المدفوعات الإضافية . أظن أن الفلاحين سيقبلون هذا .

---

(١) وسيط الصلح : موظف ينتخبه نبلاء المنطقة وكانت مهمته تنظيم توزيع الأراضي بين الفلاحين والإقطاعيين . وقد كان تولستوي وسيطا سنه ١٨٦١ .

الوسيط : وكيف لا يقبلون ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ستكون الغلطةُ غلطتي إن رفضوا . أظنّ أنه ليس في المقاطعة كلها ، لا في الدائرة وحدها ، ما يُشبه هذا الكرمَ . . .

(يقترب ضيفٌ) .

الضيف : تتحدثون عن أعمالكم ، في مثل هذا اليوم ؟

الوسيط : مستحيلٌ غيرُ ذلك . مهما يكن موضوع الحديث ، فان الحديث يَنْزلق أبداً نحو المكلّفين الموقّتين(١) . هاك مثلاً من معالجة هذه القضايا : إن ايفان ميخايلوفتش يَهبُ الفلاحين سبعة عشر هكتاراً ويُعفيهم من المدفوعات .

الضيف : نعم ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : ما العمل ؟ يجب أن ننتهي من . . .

الوسيط : ما أعْظمَ ما يفعله الزمن ! عندما أتذكّر اللهجةَ التي كلّمْتني بها في البداية . . . كدنا نتخاصم ، أتذكُرُ ؟ بسبب تلك العجوز التي جاءت تشتكي . . .

ايفان ميخايلوفتش : ماكان يمكن للأمور أن تكون غير ذلك . كان ذلك جديداً مسرف الجدّة عليّ ، فاغتظْتُ . . . لم يأتوا مع أن الساعة دقت العاشرة .

الوسيط : وكم يمدحُك الفلاحون ، يضعونك ، أينما كانوا ، في المقدّمة ، لكي يَغيظوا الملاّكين الآخرين .

---

(١) نحو المكلفين الموقتين : هم الفلاحون الذين كانوا يدفعون بعملهم ثمن أسهم الأراضي التي حصلوا عليها بعد التحرير في ١٨٦١ .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، هذه مكافأة حقاً .

الوسيط : وصَدّقني أن هذا أنفعُ لك ، ايفان ميخايلوفتش .

ايفان ميخايلوفتش : اوه ! هذا مشكوكٌ فيه ، لكنْ على الإنسان أن يساير عصره .

ماري فاسيلييفنا : هو يقول دائماً : إن ذلك سيكون أنفع . وكان يرى أن البيان حسّن الأشياءَ ، لكنه مع ذلك ، يغضب لأن الفلاحين لا يعملون . ما رأيكَ ؟ هل الأمور تسير سيراً أفضل منذ تحرير الفلاحين ؟

ايفان ميخايلوفتش : لا شك أنه أفضل . (يقتربُ من السيدات) . عمّ تتحدّثن ؟ .

ماري فاسيلييفنا : نتذكّر زواجَنا . رويتُ لهن أنك كنتَ تخيفني ، أتذكر ؟ وأنك جئتني بخاتم من الماس . ولم أكن أنوي قبوله . وأنك رقصتَ معي ، في الحفلة الراقصة ، رقصة المازوركا ، ولم أكن أدري مَنْ أختارُ . . . ما أغبانا ونحن شباب ! لكن ما كان أبهج ذلك . . . كانت أمي تحب احتفالات الزواج الفخمة . كل موسكو حضرت زواجنا ... كانِ المدخل مفروشاً بالجوخ الأحمر ، ووُضِعَتْ الورودُ في صفين اثنين ، في صفين اثنين . . .

المدعوة الثانية : نعم ، كان كل شيء مختلفاً في الماضي .

ماري فاسيلييفنا : وما هذا الزواج ؟ زواج برجوازي . أهكذا تُزوّج البنتُ الوحيدة ؟ .

الوسيط : لا ، لماذا ؟ ليس فيه أبّهة لكنه لائق . الزواج اليوم يتمّ هكذا. يخرجان من الكنيسة ليصعدا إلى العربة. أنا أستحسن هذا.

ماري فاسيلييفنا : ومع ذلك فقد تأخّرا .

ايفان ميخايلوفتش : نعم ، كان يجب أن يكون هنا . حسناً ! يا سادتي ، أرجوكم أن تذوقوا نبيذي . أنا ضامنٌ أنكم لم تشربوا قط مثله .

ماري فاسيلييفنا : جان ، اشرحْ لي ، كيف يجب أن تلاقيهم ؟ أين يقف كل واحد ؟ نسيتُ كل شيء .

المدعوّة الثانية : على الاشبينيْن أن يُدخلاهما حال وصولهما ، ونحن نستقبلهما بالخبز والملح(١) . أنتَ أولاً . . .

المدعو الأول : لا . الترتيب المتبّع هو : الوصيف الذي يُعلن وصولهما ، ثم يدخل الإشبينان ، وبعد ذلك فقط الأب والأم . . .

ايفان ميخايلوفتش : ما أكثر هذه العادات !

الوسيط : أحبّ هذا الماضي . فهو خيّرٌ جداً ، روسيّ جداً .

ماري فاسيلييفنا : يجب ألاّ تبقِهم كثيراً على المائدة ، جان . فأنا أود أن أكلّم ليوبا قليلاً على انفراد .

المدعوة الأولى : فرحٌ وهموم ، كل ذلك معاً . . . نعم ، هذه لحظةٌ لا تُنسى .

ايفان ميخايلوفتش : انتظروا ، وصَلَ شخصٌ . أيكونان قد جاءا ؟ انهضي ، ماري فاسيلييفنا ، وخذي الخبز والملح ، هنا .

---

(١) بالخبز والملح : علامة الترحيب في روسيا .

المدعوة الثانية : ضعي قطعاً ذهبية في المملحة – ليعيشا عيشةً غنيّة .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، أعْطني .

ايفان ميخايلوفتش : في الحال ، وضعتُ بعضاً منها . (الخادمات والمربية ينظران إلى الأبواب ؛ يصطف الموسيقيون) . انظروا ، منذ أن يدخلا الباب (للخادم) . قدّمْ الشمبانيا ، ثم السمك بعد ذلك و . . . لقد وصلا !

(يتناول الخبز وينتصب ويقف في وسط الغرفة) .

المدعوة الأولى : يا لهذه اللحظة الجليلة !

المدعوة الثاني : بمَ يحسُ الأب والأم ؟

ايفان ميخايلوفتش ، يقبّل ماري فاسيلييفنا ، والدموع في عينيه : يا عزيزتي ، أهنئكِ . إنه لفرحٌ عظيمٌ لنا .

ماري فاسيلييفنا : آه ! جان . ما أشدّ خوفي وما أعظم سعادتي ، وأنا أجهل نفسي . . . قلْ لي في الوقت المناسب ، وإلاّ ارتبكتُ . . . لقد وصلوا هل ينبغي أن أقف هنا ؟

(تُسمَعُ خطوات، يتخذ الأب والأم وضعَهما، يُحيطُ بهما الأقرباء) .

المشهد – ٢ –

« يدخل نيكولاييف » .

ايفان ميخايلوفتش : لم وصلتَ بدون العروسين ؟ (يشير إلى الموسيقيين) هس ! . . . بُلْهٌ !

(يتوقّف الموسيقيون) .

نيكولاييف ، أشعث الشعر : لا ، لم أر في حياتي مثل هذه النذالة . (يرمي قبّعته في الأرض) . لقد تنبّأتُ لكَ بذلك ، أيها الأحمق العنيف ! لا ، يا صديقي ، لن أسمح لأحدٍ بأن يَهْزأ مني . لم أعد أخاك أو صديقك ، ولا أحب أن أتعرّف عليك بعد الآن ! هذا ما عندي ! (لزوجته) . صوفيا اندريفنا ، لِنَذْهبْ .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا يقول ؟ ما بهِ ؟

ماري فاسيلييفنا : وأين العروسان ؟ جان ، سأرْتَبِكُ .

نيكولاييف : نعم ، اذهبْ وقبّلْهما ، الحقْ بهما ! . . .

ايفان ميخايلوفتش : نكن ما الذي جرى ؟ لا تُعذّبني ، ما بكَ ؟ لماذا ؟ . . .

نيكولاييف : لقد سافرا . هذا ما بي . بصقا في وجوهنا جميعاً وسافرا .

(يجلس على أريكة فيتجمّع الأفراد حوله) .

المربية : وكيف ، بلامباركة ؟

المدعوة الاولى : هذا غير ممكن !

المدعوة الثانية : هذا لا يُصدَّق !

ماري فاسيلييفنا : آه !

(تتهالك على مقعد فتُهرع المربيةُ إليها) .

ايفان ميخايلوفتش : وهو ما يزال ممسكاً بالصينية : نيكولاييف ،

لا مَزْح بهذه الأشياء . . . أين هي ؟ أسألك . (للخادم) .
أين العروسان ؟ تكلّمْ !

الخادم : سافرا .

ايفان ميخايلوفتش : هل جُننتُم ، أنتم الآخرون ، أم ماذا ؟ هل رأيتهما بعينك ؟

الخادم : وكيف إذن ؟ أنا وفيدور وضعناهما في العربة .

ايفان ميخايلوفتش : في العربة ؟ في أيّة عربة ؟ سأقتلك ، يا وغد !

(يرمي بالصينية ويهجم على الخادم الذي يفرّ) .

ماري فاسيلييفنا : جان ، ماذا تفعل ؟ من فضلك . . .

(ايفان ميخايلوفتش يقف ويعود متفكراً .)

نيكولاييف : نعم ، يا صديقي ، هذه هي البدعة ، آخر بدعة . أنا أرثي لك وأشتهي أن أضحك . أقدمْ على الحماقات إن شئت ، لكنْ لا تضعْ الآخرين في مواقف حمقاء . لولا أنني أعطف عليكَ لتركتُكُ دون أن أقول لك كلمةُ .

المدعوون : لكنْ ما الذي حدث ؟ وكيف يسافران بلا مباركة ؟ . . .

الوسيط : وكيف بعربة ؟ هذا مستحيل .

نيكولاييف : تنبّأت أنه ستحدثُ دناءَةٌ ، وكنت أتوقّع ذلك ، لكنه طمأنني كثيراً حتّى ذهبتُ إلى الكنيسة . ولقد جاءَ هذا القليلُ الأدب إلى الكنيسة بالسّترة الرسمية وبالبنطال الأزرق . . . طيب . أردت أن أقود الخطيبةَ ، حسب العادة ، لكنه أصْعدها إلى مركبته . قلتُ في نفسي : آه ...

وقررتُ ألا أذهب . ألحّت علي صوفيا اندريفنا . . . انتظروا . . . ماذا حدث بعد ذلك ؟ . . . قالت لي : ستجرح ليوبا . . . فهو يجهل العادات . . . قلتُ : طيب ، سأذهب . أنا أعطف على ليوبا .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ، أنتَ تمزح . من فضلك ، فكّرْ ، فيّ . . . أنا أبٌ . . .

نيكولاييف : ولمَ أمزحُ ، يا صديقي ؟ لا بدّ أنهم وصلوا محطة لاشنيغو .

ايفان ميخايلوفتش : وبعد ذلك ؟ تكلّمْ ، تكلّمْ . . .

نيكولاييف : كان لا بدّ لي من أن أبذل جهداً باعتباري صديقاً قديماً ، لكني كنتُ أعلم أن خسّةً ستحدث . . . ومع ذلك فقد كنتُ أحدّثُ نفسي بأن كاتباً ، سوقياً ، لا يستطيع أن يهينني . فذهبتُ إذن . طيّب . عجّلتُ وأسرعت مع صوفيا اندريفنا ووصلنا . . . فاذا الوصيفُ وحده . . . وإذا الشقةُ أوسخ من حظيرة الخنازير ، وقد تناثرتْ عليها الحبال . وكان فيها صديقٌ للعريس ، نذلٌ مثله ، يرتدي ما يُشبه المبذل ، وقريبٌ له ، كاتبٌ . وماذا تظنّ أنه فَعَلَ . أدارَ ظهره لنا ، ووضع قبّعته ثم انصرف هو والصديق .

ايفان ميخايلوفيتش : وفي أي شيء سافر العروسان ؟

ماري فاسيليفنا : كيف ، بدون خادمتها ؟ دنياشا هنا . اوه ! يا إلهي !

ايفان ميخايلوفتش : كيف سافرا ؟ اقتلْني ! خذْ ! اشربْ دمي !...

نيكولاييف : في عربة مغطّاة . رأيتُه بعيني . . .

ايفان ميخايلوفتش : نيكولاييف ! . . . انتبهْ . . .

نيكولاييف : مالي وللانتباه ؟ عليكَ أنتَ أن تنتبه إذ اخترتَ هذا الزوجَ لابنتك . . .

ماري فاسيلييفنا : هل كان بيتّروشا هناك ؟ . . . ما هذا كله ؟

المدعو الثاني : لعلهم آذياه ؟ . . .

المدعو الثالث : لا ، يبدو أنهم أعطوه كل شيء قبل الزواج .

المدعو الأول : ربما كان مجنوناً . صدّقوني هذا مجنون .

المدعو الثاني : شيءٌ واحدٌ يدهشني : كيف أمكنها أن توافق ؟

المدعو الثالث : أخذَها عنوةً .

المدعو الأول : هذا درس مفيدٌ لايفان ميخايلوفتش .

المدعو الثاني : الكبرياء دائماً .

ايفان ميخايلوفتش : هل كان بيتّروشا هناك ؟ يا ساشكا !

ماري فاسيلييفنا : **جان** ، من فضلك . . .

ايفان ميخايلوفتش : أغربي عن وجهي ! . . .

الخادم ، وهو يدخل : فيم يرغب سيدي ؟

ايفان ميخايلوفتش : أين بطرس ايفانوفتش ؟

الخادم : لا أعلم ، يا سيدي . . .

ايفان ميخايلوفتش : سأعلّمك كيف تعلم ! ليؤْتَ به في هذه اللحظة ، أتسمعني أيها اللص ؟ (يتوقف فجأة) . سأُريكَ إنْ كان يمكن الهزءُ مني . (يهرب الخادم) . .

الخادم الثاني ، يدخل ومعه رسائل : سافر بطرس إيفانوفتش مع كاترين ماتفيفنا والطالب ، وأمروا أن أسلّمك شخصياً هذه الرسائل .

ايفان ميخايلوفتش : ماذا ؟ (يأخذ الرسائل) . أين سافروا ؟ متى سافروا ؟ .

الخادم الثاني : لا أعلم ، يا سيدي . قال : إلى بطرسبرج .

المدعو الأول : يا للمفاجأة !

المدعو الثاني : نعم ، لا تأتي المصيبةُ وحدها .

نيكولاييف : هذه هي أفكارك الجديدة . . . نتيجة أطوارك الغريبة .

ايفان ميخايلوفتش ، فاتحاً رسالةً : يا سادتي ، أنا شديد الاغتمام . ارحموني ! . أعلمُ أن كل شيء من غلطتي . لا فائدة من الاستتار . . . لا أستطيع القراءة . . . اقرأها أنتَ ، أنت مثلاً (يتصفّح الرسالة ويناولها الوصيفَ) . اقرأْها . . . انتظرْ . هيه ! (للخادم) . اربط الجياد الأربعة بالمركبة . وقلْ للحوذي فيلكا إنه إنْ لم يقرّ بْها في مدى دقيقة ، فإن أترك في فمه سناً واحدةً سأكسر أسنانه كلها . أقول ذلك على الملأ ، ثم ليُحاسبْني الله وقيصري ! نعم انقضى أجلُكَ ! . هيا ! اقرأْ .

الوصيف ، يقرأ الرسالة : « سيدي بريبيشيف ! »

ايفان ميخايلوفتش : مِمَّنْ الرسالةُ ؟

الوصيف : من كاترين ماتفيفنا .

ايفان ميخايلوفتش : طيب : هذه الحمقاء أيضاً سأصفّي لها حسابها .

الوصيف ، **يقرأ** : « مع أن الاتجاهات الاجتماعية ، غير الناضجة بعد ، التي أبديتَها في هذه الآونة الأخيرة بوضوح أكبر من قبل قد أشعرتْنا أنك بدأت تزعزع هدوءَ وسطك المحافظ المتطرف ، بل والرجعي المتطرف ، البليد والمعجب بنفسه ، الذي تحيْيا فيه ، ومع أن ذلك بعثَ فينا الأمل بأن نراك تتّجه فجأةً إلى المذهب الجديد ، إلا أن انتصار الفكر لم يَغْدُ بعد انتصاراً للفعل ، أحبُّ أن أقول ببساطة إن المسافة السحيقة التي تَفْصلنا عن أسرتك يتّضح أثرها ذاتياً بقوة جهنمية . إن الأحداثَ الأخيرة التي حدثتْ في وسطكم أبرزت أسسَ الجهل والفساد والتحجّر التي كانت مختبئةً فيه . وبما أننا اجتمعنا على كُرهٍ فلا يمكننا أن نتّحد . كان كل واحد منا يعيش منعزلاً . وقد قررتُ أن أعود إلى بطرسبرج ، لأنضوي تحت راية المذهب النسائي الجديد . وبما أن ضميرك بدا وكأنه يتّجه نحو طريق شريفة ، فقد قدّرتُ أن مما يهمّك أن تطّلع على نجاح نشاطنا في سبيل القضية المشتركة التي لها طابع واقعي حقاً . إن بعض الأشخاص السبّاقين ، وبعض الطبائع المستقيمة تجرّبُ تعايشاً حراً بين الرجال والنساء على أسسٍ جديدة

وأصيلة . هذه المؤسسة سُمّيتْ « المشاعيّة » . وقد صرتُ عضواً فيها(١) .

نيكولاييف : هذه المؤسسة ، يا صديقي موجودة منذ زمن بعيد ، وهي تُدعى بكل بساطة . . .

(يهمس باسمها في أذنه) .

ايفان ميخايلوفتش : تابعْ . . . أهي طويلةٌ أيضاً ؟

الوصيف : لا ، ستنتهي (يقرأ) . « وعندما أعيش في المشاعية ، وسط جماعة في مستواي ، فسأشارك في الصحف الأدبية وسأنشر ، في نطاق قواي ، أفكار العصر بصورة نظرية وبصورة محسوسة على حد سواء . سأكون حرّةً ومستقلة . وداعا ، بريبيشيف . لست أتهمك بشيء . وأنا أعلم أن وحل وسطاك قد لوّثك حتماً ؛ ولست أقصد ماري فاسيليفنا ؛ كُنتَ مُكْرَهاً على أن تكون على ما أنتَ عليه . لكنْ تذكّرْ هذا الشيءَ : هناك طبائع مُضيئة لا تلين أمام ضربات الزمن وهذا ما ينبغي لك أن تنظر إليه بكثير من الاحترام والعطف (وإلا فقدتَ الكرامة الإنسانية) . إني لا احترمُك ، لكني لا أنكر على الإطلاق مطامحك الإنسانية . أنا فوق اللوم » .

ايفان ميخايلوفتش : أهذا كل شيء ؟ انتظري فقط !

الوصيف : لا . . . « حاشية – أرجوك أن تبيع أرضي التي تساوي

---

(١) واضح ما في هذا الأسلوب من تكلف وحذلقة . «المترجم»

على الأقل خمسين روبلاً الهكتار ؛ اتّكلُ على استقامتك ؛ « أرسلْ إلي الفين وثلاث مئة روبل نقداً في أقرب وقت ممكن . أما عائداتي فأرجو أن ترسل الي مئةً وخمسين روبلاً في البريد المقبل » .

ايفان ميخايلوفتش : جيد جداً . أخذتْ سابقاً مئتي روبل ، وكل ملكيتها لا تغلّ أكثر من مئة وخمسين ؛ سأعطيك حظك من التوبيخ ، يا صديقتي ! الرسالة الأخرى الآن ؛ هي من الطالب ، على ما أفترض ، اقرأْها .

الوصيف : « إيفان ميخايلوفتش ، طلبتُ منك سالفةً قدرها اثنان وثلاثون روبلاً . لا أستطيع أن أردّها لك الآن ؛ لكنك إن لم تكن لئيماً فان تبلغ بك النذالةُ حدودَ اتّهامي . سأرسل إليك هذا المال حالما أستطيع تدبّر أموري ؛ من عادة الأغنياء أن يحتقروا الفقراء . وكان ذلك يجري في بيتك بوقاحة . سأسافر مع كاترين ماتفيفنا ؛ ليكنْ رأيُك بها كما تشاء ، فأنا أعتبرها طبيعةً رفيعةً . ومن ناحية أخرى : احترامي

ايفان ميخايلوفتش : هذا واضحٌ ومقتضب . هل الجياد جاهزة ؟ سأنهكها جميعاً حتى ألحق بالجماعة ، وعلى الأقل سأجدُ تسليتي في ذلك .

ماري فاسيلييفنا : ماذا تقول ، ايفان ميخايلوفتش ؟ ارحمْه ، فالمسكين وحده .

المدعو الأول : هناك ما يدعو حقاً إلى الرحمة !

ايفان ميخايلوفتش : هيا ، الرسالة الأخيرة أيضاً . . . أجْهِزوا عليّ . . .

الوصيف ، يقرأ : « أبي ! فكرتُ كثيراً في فاسفة عصرنا . والذي ينجمُ عنها أن أصحاب العصر الجديد حياتُهم قاسية لأن الرجعيين يضطهدونهم . والكل يعامون أن الأُسْرةَ تحولُ دون تطور الفرديّة . لقد حصاتُ على تطوّر كبير ، بينما أنت محافظٌ متطرف ، وأمي حمقاء — أنت نفساك قاتَ هذا — وإذن فالجميع يدركون ذلك . فلماذا أُضيعُ انطلاقتي العظيمة وأتحجرّ ؟ في الثانوية ، الأساتذة ما يزالون قليلي التطوّر ، ولا أُطيقُ ذلك . يحبسون الإنسان في حبس ! ... لقد انقضى عهد اوبلوموف(١) ، وأمام أصحاب التقدم انفتحت أبوابٌ جديدة . سأحضر الدروسَ في جامعة بطرسبرج والأساتذة فيها قديرون ، وإذا كانوا سيئين فسأعمل وحدي . وإذا لم تكن أنتَ كيرسانوف(٢) جديداً أو طاغيةً ، فأرسلْ إليّ المالَ لأعيش . لأنني قد صممّتُ على ذلك . وفضلاً عن ذلك ، لقد تأكدّت أن فينيروفسكي رجعي أيضاً . إنه لا يعترف بحرية المرأة . وداعاً ، يا أبي . لعانا سنلتقي في ظروف طبيعية ، رجلاً لرجل . قلتُ كل ما تجمّع في قلبي .

بطرس بريبيشيف .

---

(١) انقضى عهدا اوبلوموف : اوبلوموف نموذج للإقطاعي الروسي الذي يتولد كسله من القنانة ، وذلك في الرواية الشهيرة لا يفان غونتشاروف اوبلوموف ١٨٥٩ .

(٢) كيرسانوف : الأب النبيل في رواية تورغنيف « الأب والا بن » ١٨٦١ .

ماري فاسيلييفنا : إلهي ! إلهي ! ما هذا ؟

نيكولاييف : أنا أشفقُ عليكَ جداً ، جداً ، يا ايفان ، لكنْ لا حيلةَ لنا في ذلك ، فالغلطةُ غلطتُك . هذه هي إذن البدعُ الجديدة ! أين الجديد ؟ كل شيء قديم ، قديم جداً : الكبرياء ، الكبرياء والكبرياء . منذ أن خُلق الكون والشباب يرغبون في تعليم الكبار .

المدعو الأول : هذا صحيح .

المدعو الثاني : لكنّ لهذا نتائج بعيدة جداً .

المدعو الأول : هذا حمقٌ حقاً ، هذا مضحك حقاً !

ايفان ميخايلوفتش : يا ماري فاسيلييفنا ، أنتِ غبية ، لكنني أغبى منكِ بألف مرة . هيه ! هل هي جاهزة ؟

الخادم : قُدِّمت العربةُ يا سيدي .

ايفان ميخايلوفيتش : قُلْ لدنياشا أن تصطحبني . انتظرْ أين صلتُ الهيبةَ ؟ حسناً ! وداعاً ، يا سادة .

(يستأذن ضيوفه) .

الوسيط : ماذا قررتَ إذن ، ايفان ميخايلوفتش ، بصدد قضيتنا ؟

ايفان ميخايلوفتش : دونكَ ما قررتُه : ما لم أُجْبَر إجباراً بسكين على عنقي ، فلن أعطي شبر أرض ، ولا كوبيكاً واحداً ، ولا يومَ عمل واحد ، ولن أُلغي أيةَ غرامة ! حسبُنا إدهاشاً للناس ! لا يا سيدي ، لقد تربّيتُ اليوم .

الخادم : المركبةُ جاهزةٌ ، يا سيدي .

ايفان ميخايلوفتش : معطفي ، يابن الكلب ! ماذا تعتقد ؟ أن الأمور ستسير كما كانت من قبل ؟ — معكِ حق ، ماري فاسيلييفنا ، كلُ شيء يجري إلى أسوأ . والبيان والمدارس والطلاب . . . كل ذلك سمّ ، هاوية ، وداعاً ، على شرط أن ألحقَ بهم ، ولو على الطريق . كم ستستريح نفسي ! بيتروشا ، سأضربه ضرباً شديداً ! نعم .

ماري فاسيلييفنا : ايفان ميخايلوفتش ، ارحمْني ، لا توبّخْ كثيراً الكسي بافلوفتش ، فهو حقاً هزيلٌ ويدعو للرثاء . كل ذلك فهو بسبب شبابه .

نيكولاييف : تستطيع أن تعود بابنك ، لا أن تفسخ زواجَ ابنتكَ .

ايفان ميخايلوفتش : آه ! دَعْني من هذا الموضوع . (يدنو من المائدة ويشرب كأساً من النبيذ) . نعم ، نعم ، سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه بالعصا . وداعاً . اضحكوا ، اصرخوا ، اغضبوا لكني سأضربه ضرباً شديداً ، سأضربه ضرباً شديداً ! وسيشكرني فيما بعد ، نعم !

ستار

الفصل الخامس

« يُمثّل المسرح صالة المسافرين في محطة للأبدال » .

المشهد — ١ —

« يدخل مدير البريد وكبير القرية » .

مدير البريد : ما هذا العَدْوُ السريع ! لم نرَ مثله منذ ماكاري(١) . دورُ مَنْ الآن ؟

كبير القرية : دور آكيم ؛ لم يعدْ . لا بدّ أنهم أخّروه في لابشيفو . ومن حسن الحظ أن البريد لم يصل بعد .

المدير : وبعد الساعة السادسة ستمرُّ خيلُ البريد من جديد . ماحيلتُنا في ذلك ؟ سيزُعجُنا المسافرون في الوقت الحاضر .

كبير القرية : في الماضي ؛ في عهد تيخون موسيتش ، عندما لم يَبْقَ جياد ، كان يختبىء في مخزن العلف . أنا أيضاً كنتُ كبيراً للقرية . وذات مرة جاءنا سكّيران من القوقاز ، وأذاقانا الأمرّين ! كلُ الناس في المحطة ضُربوا ، وكلهم

---

(١) ماكاري : معرض مشهور في نيجني نونفورور . ويسمى أيضاً معرض ماكاري .

هربوا . وسُحبَ تيخون موسيتش من قدميه إلى الخارج .
قال لهم : « أنا موظف ، لا يجوز لكما ! » فضرباه ضرباً شديداً !
أتصدّقني ؟ لقد جرّاه عبر الفناء . وضحك الحاضرون كثيراً .

المدير : إذا فعل بي أحد المستهترين مثل ذلك فسأعلّمه الأدب .

كبير القرية : اوه ! أصبحَ المسافرون وديعين جداً الآن . لكنني أحبّ أن أسأل سيادتك : لماذا يخاطبنا الجميعُ الآن ، نحن الفلاحين ، بضمير الجمعْ ؟

المدير : جاء هذا من التعلّم ، أي من التقدّم . لستَ أحمق ؟

كبير القرية : لكننا لاحظنا مع الحوذيين أن الذي يخاطبك بضمير الجمع يجب ألا تنتظر منه حلواناً . بينما الذي يزعق كثيراً ولا يوفّر يده يعطيك بالتأكيد خمسة روبلات أو ستة ، تستطيع أن تثق بذلك .

المدير يضحك : وأولئك أيضاً يُبدون ملاحظاتهم . « كفاك نظماً للجواهر . انظر إلى هذه القذارة ، قل لهم أن يَكْنسوا هنا ، وامسحْ الطاولةَ على الأقل » . ما من مسافر لا ينزعج . كل شيء يبدو لهم وسخاً . ومَنْ الذي يوسّخُ كل شيء ؟ همْ أنفسهم دائماً . لا هم لهم إلا أن يوسّخوا وينصرفوا . ولا شيءَ يبدو لهم كافي النظافة . (كبير القرية ينظّف) . سأنام قليلاً . ها قد جاء مسافرون آخرون ، فيما أعتقد . لا بد لهم من أن ينتظروا ، مهما يكن رأيُهم .

كبير القرية : ليدفعوا الضِعْفَ ، ويأخذُهم فلاحونا .

(يرنّ جلجلٌ) .

المشهد — ٢ —

« مدير البريد ، كبير القرية ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا ، شاحبة جداً ، صامتة وحزينة » .

فينيروفسكي : أيها السيد مدير البريد ، أريد جياداً . وأنت ، يا كبير القرية ، اذهبْ وقلْ لهم أن يربطوا لي الجياد بأسرع ما يمكن . (لليوبوف ايفانوفنا) . آه ! ها نحن وحدنا . هذا رائع ! منذ أن تخلّصْنا من تلك الحماقات الكريهة ، الآن فقط أحسّ أنني إنسان . أأنت مسرورة ، يا حلوتي !

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . أنا مسرورة ، أنا متعبة .

المدير : الجياد كلها في العمل .

فينيروفسكي : أكرّر لكَ : هذه أوراقي ، وهذا هو المال ، فقلْ لهم أن يربطوا الجياد .

المدير : عندما نربّي جياداً أخرى سنربطها .

فينيروفسكي : تفضّلْ وقلْ لهم أن يربطوها أو أعطني الدفتر ، فسأتقدّم بطلب .

المعلم : هذا هو الدفتر . اكتبْ طلبَك . رأينا كثيرين غيرَك .

فينيروفسكي : آه ! حسنٌ . حسنٌ جداً ! نعم ، الاستقامةُ ستظلّ طويلاً من حظنا نحن وحدنا . . . ما هؤلاء التافهون !

(يجلس ، يتصفح الدفتر ، ثم يكتب) .

المعلم : **مقترباً ، هائجاً : اقرأ الدفتر بالأحرى . تفضّلْ وانظرْ :** البريد ، ٨ جياد في الساعة ٥ و ٢٣ دقيقة. لم تبلغ التاسعة ولم يعودوا بعد . عقيدٌ مع زوجته ٦ جياد في الساعة ٦ و ١٧ دقيقة . تفضّلْ وانظرْ : العدد الكامل هو ٣٦ جواداً ، نعم ، يا سيدي ، يجب أن تنظر قبل أن تصف بالتفاهة الناسَ الذين ربما كانوا خيراً منكَ .

فينيروفسكي : دعْني ، فليس في نيّتي مناقشتك .

المدير : ما عليكَ إلا أن تكون أكثر حذراً في المستقبل . حتى الجنرال الذي يسافر بمركبة الجياد الستة ، لا نسمح له بذلك . . . بصرف النظر عن الأوباش . . .

(يخرج)

المشهد - ٣ -

« الأشخاص أنفسهم ما عدا مدير البريد » .

فينيروفسكي : يا كبيرَ القرية ، ائتني بسماور ، من فضلك. (لليوبوف ايفانوفنا) . هل تتناولين شاياً ، يا حلوتي ؟(لكبير القرية) . وبالسكر والشاي !

كبير القرية : سعر السماور عشرون كوبيكا ، أما السكر والشاي فحاسبْ المعلّمة .

فينيروفسكي : هات كل شيء . هل تتناولين شاياً ؟

ليوبوف ايفانوفنا : نعم . . . لا .

فينيروفسكي : يجب أن ترفعي خمارك .

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لابأس بذلك .

فينيروفسكي ، جالساً بقربها : أنت ترين ، يا صديقتي ، الفرقَ المدهش الذي يَفْصلنا عن أهلك القدماء . نحن ننظر إلى الحياة ببساطة . هذا السيد ، بسبب وسطه وقناعاته ، يجد من الضروري أن يزعج الناس وأن يعاملهم بفظاظة . هذا طبيعي ، ومثلُ ذلك كونُ أهلك يعتبرون اجراءات الحماقة التي أفلتْنا منها ضروريةً . من دون شك ، نحن لا نستطيع تغييرها ، لكننا يجب أن نقول لهم ، باعتبارنا أشخاصاً أذكياء : أنتم سيّئون وحقراء ، وهذا شأنكم ، يا سادة ؛ لكنْ لا تمنعونا من أن نكون شرفاء وإنسانيين . متى أدركت هذا المفهوم ، يا حلوتي . . .

ليوبوف ايفانوفنا : لا تقل « حلوتي » ، هذا بشع .

فينيروفسكي : طيب ، لا يهمّ . لاحظي فقط كم سيذلُّ هؤلاء الحمقى في مثل هذه الصدامات . لستُ أكرههم ، بل إني احتقرهم ، سيذلّون ، وسيدركون ذلك عندما يفكّرون . صدّقيني ، إن أهلَكِ الآن يحسّون أنهم أغبياء . وهذا ما يلزمهم .

ليوبوف ايفانوفنا : وماذا فعلَ بك أهلي ؟ ولنفرضْ أن في تطوّرهم نقصًا ، لكنهم ليسوا سيّئين . هناك أسوأ .

فينيروفسكي : أنتِ ذكيّةٌ ، يا حلوتي . صحيح ، هناكَ أسوأ . لكن منذ اللحظة التي ندرك فيها تفاوت قناعاتنا ، منطلقاتنا ،

يجب أن يصفّ البعض إلى اليسار ، والآخرون إلى اليمين . كل هذا بسيطٌ جداً . لستُ أحترم الأغبياء والجهلة ، كما لا أحترم اللؤماء والجامدين وأعداء الجديد ، مثل أهلك. وإذنْ فلا أنت ولا أنا نستطيع أن نحترمهم . أنتِ موافقة ، أليس كذلك ؟ غيري يتصرّف بدبلوماسية ، ويخفي قناعاته ، لكنني أقدّرُ أن الحقيقة والشرف نافعان دائماً .

ليوبوف ايفانوفنا : لكن لماذا ؟ إن أبي ليس عدواً للجديد — على العكس !

فينيروفسكي : ألم ترَيْ أنه كانَ يخافني فقط وأنه منافق ؟ ثم إننا لا نستطيع أن نحترم امرأةً حمقاء لا تفهم شيئاً خارج النوم والأكل .

ليوبوف ايفانوفنا : ومع ذلك ، كنتُ أحبّهما . . .

فينيروفسكي : أحبّي ما هو حرّ وشريفٌ وعاقل ! أحبّي الأشخاص الذين يجمعون في أنفسهم هذه الصفات ، وستُصبحين إنسانية ؛ أما أن تحبّي امرأةً لأنها ولدتك ، فلا معنى لذلك . نعم ، يا صديقتي الرائعة ! إذا كنت تحبينني ، فليس ذلك من أجل جمالي ولا من أجل ذكائي ، ولكن لأن هذه الصفات تجمّعتْ فيَّ ، نعم ، الأمر كذلك (يُؤْتى بالسماور) . أتعملين الشاي ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا ، لا أريد شاياً ، كل ذلك وسخٌ وبشع . انظرْ إلى هذه الفناجين ، لا أريد شاياً . . .

فينيروفسكي : نعم ، ليوبوف ايفانوفنا ، يا حلوتي الصغيرة بين النساء . الآخرون يحصلون على هذه المعرفة بمشقّة لقاء

صراعات ودراسات طويلة ، وأيضاً فان الطباع النادرة والقوية هي التي تفهم هذه النظرية بقوة ووضوح كفهمي لها ، بينما أنتِ يا حلوتي المحظوظة ، تحصلين على ذلك كله بسهولة . يكنيك أن تصغي وتحفظي ، ودفعةً واحدةً ترتفعين إلى العلوّ الذي ينبغي أن يكون فيه إنسانُ الزمن الحديث . لكنْ لندعْ هذا الحديث . نحن الآن وحدنا ، ونحن حرّان . (يدنو منها) . لماذا لا تشربين ، يا حلوتي .

ليوبوف ايفانوفنا ، مكشّرةً : أيّة فناجين هذه ! يا للبشاعة ! كل الناس يشربون منها — وربما المرضى . لا أستطيع .

فينيروفسكي : لستِ نشطةً اليوم . أمن الممكن ، يا عزيزتي ، ألا تسرّكِ رحلتُكِ هذه ؟

ليوبوف ايفانوفنا : سيان عندي ، أنا متعبة . لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : عُدْتِ إلى دنياشا ؟ لا أري من حقي مضايقتك بالأسئلة . أنتِ حرّةٌ مثلي ، وسيكون الأمرُ كذلك في المستقبل . إن رجلاً آخر في مكاني قد يرى لنفسه حقوقاً عليك ، في حين أنني أنا أعترف بحريتك الكاملة . نعم ، يا فاتنتي ، ستنتظمُ حياتُنا بحيث تقولين عمّا قريب : هجرتُ السجنَ إلى الفضاء الطلق .

ليوبوف ايفانوفنا : لماذا لم تأتِ بدنياشا ؟

فينيروفسكي : كان سيكون ذلك تصرّف رجلٍ إقطاعي ، تصرفاً قبيحاً ، وكانت ستضايقنا . (يقترب منها) . أيمكن تقبيلُكِ الآن ؟

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْ هذا ! واغسلْ هذه الفناجين ! ما أوسخَها !

فينيروفسكي مبتسماً : ليس هذا مهماً . (يعمل شاياً ويشرب) .

إذن يمكن تقبيلك ؟ عندما تسمحين بذلك فقولي لي .

لعلك تريدين أن تستريحي ؟ سأخرجُ . لن أكدّر حريتك أبداً .

ليوبوف ايفانوفنا : لا . . . نعم . . . لا . . . لا أحتاج إلى شيء . أنا ضجرة .

فينيروفسكي : أتظنين أنني لم أتوقّع هذا الاحتمال ؟ على العكس . لسنا رجال عمل من أجل جمل رنانة نصنعها . إننا لا نتولّع بالأشياء تولّعاً . كنت أعلم أنك ستضجرين . أتريدين أن أقول لك لماذا ؟ لا تندهشي لأنني حَزَرْتُ ذالك ، فليس في ذلك ما هو خارقٌ للعادة . لقد نشأتِ في وسطٍ حقير . ولك طبيعةٌ خيّرةٌ ، لكنك اكتسبت ، أثناء حياتك ، أشياء كثيرةً في جو البلادة والعفن ذاك . ولقد بقيتْ هذه الأشياء فيك ، بصورةٍ غير ملحوظةٍ ، وأنت لم تكوني تلاحظينها من قبل كما أننا لا نلاحظ الوحل في اسطبل مليء بالزبل ؛ لكنك حين احتككت بالنقاء وبالقوة ، غدا الوحلُ مرئياً أمامك وبهر النورُ عينيك . وعندما تنظرين إليّ ، ترَيْن أدرانَك . . .

(يذرع الغرفةَ منفعلاً) .

ليوبوف ايفانوفنا ، بهدوء : آه ! دائماً عن نفسه .

فينيروفسكي : كيف ؟

ليوبوف ايفانوفنا : لا شيء . تكلّمْ .

فينيروفسكي : لا تخافي من ذلك ، يا حلوتي ؛ فهو إحساسٌ عابرٌ . الذين يخرجون من الظلمة لا يستحسنون النورَ في اللحظة الأولى . لكن هذا انطباعٌ خاص بالتغيّرات المفاجئة . لماذا تنزعجين ؟ لأن العربةَ تبدو لك غيرَ مريحة ، لأنك فقدت خادمتك ، ولان الفناجين تبدو لك وسخةً .... كل ذلك يأتي من بلادة المَلاّك . فكّري إذن أن أمامك حياةً كاملةً من الحرية ، ورجلاً تساهل مع التفاهة جهده ، وأن . . .

ليوبوف ايفانوفنا : أنت لا تَمْدح إلا نفسك . . .

فينيروفسكي : أمدحُ ما يستحقّ المدح وألوم ما يستحقّ اللوم ، أما أن تكون الجوانب الحسنة أو السيّئة فيكِ أو فيّ فليس لذلكَ كبير أهميّة . إن التواضع المزعوم هو أحد الأحكام المسبقة التي استمرّت بفضل الجهل والغباء . وهكذا فان أملك تدّعي أنها حمقاء . وهذا حسنٌ بالنسبة إليها . هيه ! هيه !

ليوبوف ايفانوفنا : دَعْني ، فقد ضجرتُ .

فينيروفسكي : حسناً ! سأسكتُ وسأقرأ قليلا . وهذه الحالة ستزول عنكِ . ربما كانت الحويصلة الصفراوية لم تصبّ محتواها . وهناك ، لنحاشي ذلك ، وسائل فيزيائية . لن أغضبَ عليك

أبداً . ومهما فعلت فسأبحثُ عن السبب ، وسأعثرُ عليه ، وسأحاول إبعاده . سأسكتُ أنا ، أما أنت فخذي قليلاً من الماء .

ليوبوف ايفانوفنا ، تنهض ، وتدنو من الباب وتسأل : أعندكم امرأةٌ ؟ أيمكن أن أدخل ؟

(يجيب صوتٌ : ادخلي إذا شئتِ . تخرج ليوبوف . تُسْمَعُ جلاجل وأصوات) .

المشهد — ٤ —

« تدخل كاترين ماتفيفنا » .

صوت تفيردينسكوي في الكواليس : يبدو أنه لم تبقَ جيادٌ .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي ، تقول : لم تبق جيادٌ . إذنْ لماذا يحمل هذا المكان اسم : محطة الأبدال ؟ المحطة تُقام ليكون فيها جياد ، نعم أم لا ؟

(يدخل تفيردنيسكوي ، بيتروشا ، كبير القرية . بيتروشا به حازوقة) .

كبير القرية : قُلنا لكَ أن جميع الجياد في العمل . هذان ينتظرانها أيضاً .

(فينيروفسكي يشاهد القادمين الجديد فيَخْرج دون أن يُرى) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، أنت لا تجيب عن سؤالي . لماذا ترفضون أن تعطوا الجيادَ ناساً لهم الحقوقُ نفسُها التي لأي جنرال .

بيتروشا : إغ . . . افهمْ إذن إغ . . . أننا ذاهبون إلى بطرسبرج ، ، إغ . . . لم نأتِ من بعيد . . . إغ . . . بريبيشيفكا لنا . إغ . . . أعطنا جياداً ، وإلا إغ . . . تعرّضتَ لما يسوءك . . . إغ . .

كبير القرية : سأرسلُ إليكم مدير البريد .

(يريد أن يخرج) .

تفيردينسكوي ، يحتجزه : أيها الريفي المحترم ! أنت ترغب ، حسبما استنتجتُ من كلامك ، أن تنفّذ عمليةً تجارية . ونحن لا نرغب أن نسهّلها .

كبير القرية : كف عن المزاح ، يا سيدي ، ودَعْني وشأني .

(يدخل مدير البريد) .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي أن أطلبَ منكَ جياداً . لنا من الحق مثل الذي لأي رجل ذي رتبة . لقد مضى الوقتُ الذي يُحْتَرَم فيه الجنرالات وحدهم ، ويُحْتقَر رجالُ العلم ، وطلابُه .

مدير البريد : ها قد مرّ ساعتان وليس عندنا أيُّ جواد ، تفضّلوا وانظروا إلى الدفتر . الناس متساوون ، عندنا وأنا أفهم العصرَ الحاضر كأي إنسان .

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : لا ، اسمحي لنا ، إغ . . سأُقنعه . . . أستطيع أن أفعل ذلك . . . (لمدير البريد) . احكُمْ بنفسك . . . . . . إغ . . . متى ستصل بطرسبرج . . . إغ . . .

إذا كنا عند كل محطة . . . إغ ! . . . ستحتاج إلى الجياد حتماً . . . إغ . . . أعطها . . . احسبْ كم سيستغرقُ ذلك . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، سأقنعُكَ .

المدير : لعلكم تريدون أن آتيكم بالدفتر ؟

بيتروشا ، لكاترين ماتفيفنا : دَعيني . . . إغ . . . سأقنعه . . . إغ ! . . . نحن ذاهبون إلى المشا . . . إغ . . . عية .

المدير : أينما ذهبتُمْ فسيّان عندي . . .

ڤيردنسكوي : يأخذ الدفتر : ذُكِرَ في هذا الدفتر أن ملازما يدعى ستيباتوف كان مستعجلاً لعمل مُلحّ ، فتأخّر بسبب تأخرّ الأبدال .

كاترين ماتفيفنا : سأقدّم طلباً .

المدير : أرجوكِ ، يا سيّدة . لم يبقَ جياد ، وهذا كل شيء . . .

كاترين ماتفيفنا : وأيُّ جهلٍ بواجباته فوق ذلك ، وأية وحشّية !

ڤيردنسكوي : اسمحْ لي ، سأصوّر في هذا الدفتر كل آلام نفسنا وأخلاقَ مديري البريد القاتلة .

بيتروشا : لا ، دعوني اتصرّفْ ، فعندي فكرةٌ . . . إغ . . .

المدير : يسحب الدفتر منهم ، تهزؤون بي ، يا سادة ! لسنا أقلّ قيمةً منكم . إذا أحببتم أن تكتبوا فاكتبوا ، لكنْ لا ينبغي أن تفقدوا أدبكم .

تفيردنسكوي : وهكذا ، يا كاترين ماتفيفنا ، يُوقفُ عائقٌ حقيرٌ مسيرتَنا نحو مشعل التقدّم . هذا المواطن غاضبٌ . لِندَعْهُ

بيتروشا : إغ ! . . . إغ ! . . . إغ ! . . .

تفيردنسكوي ، ضاحكاً : قلتُ لكَ إنك أفرطت في تذوّق الخمر الهنغارية .

بيتروشا : كيف ، يا سيدي ؟ إغ ! . . . ليس في هذا ما يُضحك ، إغ ! ... على العكس ... لا أسمح لك بالضحك ... إغ ! ...

تفيردنسكوي أية صبيانية في أن تَستاءَ من كل شيء !

بيتروشا : وحدك صبي ... إغ ! ... أنا رجلٌ ... إغ ! ... حرٌّ ... إغ ! ... قلتُ أنا نفسي . . . إني . . . إغ ! . . . ذاهب ... إغ ! ... إلى المشاعية .

تفيردنسكوي : نمْ ، يا بريبيشيف الشاب ، فهذا أفضل لك .

بيتروشا : عبّرتُ عن رأيي بأنك أنتَ الصبي ... إغ ! . . . لا أنا . أنتَ لا تعرف ... إغ ! ... حريةَ الفرد ... إغ ! ... اسكتْ ... تحامقتُ فقط وشربت هذا النبيذ ... إغ ! ... وأنا أشعر بالغثيان ... إغ ! ... ولولا ذلك لأعربت ... إغ ! ... عن آراء تدهشك ... إغ إغ ... أنا نعسان ، (يجلس وينام في نومه) . عقبةٌ ... ! ! ... للفرْد ... ! ول ... إغ ! ... إغ ! ...

تفيردنسكوي : طيّب ، لننتظرْ . بل يمكن أن نتناول الشاي . لأنني ضجرتُ . انظري ، ذاك واحد شربَ هنا . يا ريفي ،

يا كبير القرية ، أيمكن أن نجد عندك الأداةَ التي تسمّى عادةً : سماور ؟

كاترين ماتفيفنا ، تجلس إلى الطاولة ، وتشعل سيجارةً ، وتردّ شعرها إلى الوراء : أحب طريقتك المرحة في النظر إلى الحياة ، يا تفيردنسكوي . مهما تكن خطيرةً الأحداثُ التي تجري اليوم في حياتك ، فانك تدفنُ في أعماق نفسك أفكارك السرّية ولا تكفّ عن المزاح . كثيرون قد يعدونك خفيفاً ، لكن هذا بالضبط هو ما أحبّه فيك . وأنا أقدّركَ من أجل هذا . نعم ، ها نحن قد سرْنا الخطوةَ الأولى في طريقنا الجديدة .

تفيردنسكوي : ما نفعُ الكلام دائماً ؟ إذا كنا نعلم أن القضية صحيحةٌ وأننا أحرارٌ ومحقّون ، فما المطلوبُ أكثر من ذلك ؟ لا أحبّ أن أستعدّ سلفاً . إذا جاءتْ ساعةُ العمل فأنا عامل ومكافحٌ ، وريثما تأتي ... يمكننا أن نبتهج بالمزح الخفيف .

كاترين ماتفيفنا : قلْ لي شيئاً واحداً : تساءلتُ ، في الطريق ، لماذا كان مؤسسُ هذه المشاعيّة رجلاً لا امرأةً ؟

تفيردنسكوي : هيه ! المصادفة . (يؤْتَى بالسماور) . وإذن فمن الذي سيُقوم بصُنع الشاي ؟

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اعتقد أن الذي من الدواعي لصنعه كالتي لديك . اسمع : فلْنتفترعْ .

تفيردنسكوي : وهكذا ، فلنتعهدْ إلى القدر الأعمى بحل مشكلتنا .

(يأخذ سيجارةً ويخفيها وراء ظهره . تأخذ كاترين ماتفيفنا ملعقة وتفعل مثله) .

كاترين ماتفيفنا : لا ، عليكَ أنتَ أن تحزر .

تفيردنسكوي ، يمسك بذراعها ، ويلقي بسرعة نظرةً دائرية حوله ، فيداعب ذراعها ويضغط عليه محرّكاً يديه : ومع ذلك فليست رديئةً هذه الذراع الممتلئة . الملعقةُ في هذه .

كاترين ماتفيفنا ، **مبتسمة** : تفيردنسكوي ، لا تكنْ غبياً ، حزرْتَ . سأحضر الشاي .

تفيردنسكوي كم يقرّب الطريقُ بين الناس . أشعرُ باحساس غريب في جواري للمرأة . (يقترب منها) . كم هو حسنٌ منكِ أنك لم تلبسي تنّورة داخلية . وما هذه الثنية الصغيرة هنا ، ثنية قديمةٌ حتماً .

(يشير إلى ظهرها) .

كاترين ماتففنا : تفيردنسكوي ، أتعرف أبيات هوغو(١) ؟ هوغو رجل متخلّف ، لكن حَدْسه الشعري نفذ إلى كثير من أمور المستقبل : لا تهينوا . . .

تفيردنسكوي : ثنيّة من الطراز الأول . . . اسمحي لي أن أنْشرها . لا أن أطويها ، بل أن أنشرها .

(يلمسها)

---

(١) أبيات هوغو : استشهاد غير دقيق بالابيات التي تبدأ كما يلي : « اوه! لا تهينوا أبداً امرأة تسقط !

كاترين ماتفيفنا ، ضاربةً يده : تفيردنسكوي ، عندما أعرفك معرفةً أوثق ، فسأروي لك حياتي . إن حياة المرأة شذوذ غريب في مجتمع قليل التطوّر كمجتمعنا . (تبتعد) . تفيردنسكوي ، لو كان تقديري لكَ أقلّ ، لشككتُ في صحة قناعاتك . ماذا تفعلُ يدُكَ ؟

تفيردنسكوي : ما هذه الحالات الفريدة التي يمكن أن تحدث ! لقد عشنا ثلاثةً أشهر معاً ، وتحدّثنا فقط عن الأمور التي تثير التفكير ، والآن ، وفجأةً ، تغيرّ رأيي فيك كليّاً . لماذا لا تريدين أن أضعَ يدي هنا ؟ (يضعها على ظهر مقعد كاترين ماتفيفنا) . لن أمسّ شيئاً دون إذن . لن أمسّ شيئاً .

كاترين ماتفيفنا ، مشرقةً : افحصْ أعماقَ ضميرك ، وحينئذ سأصغي بشرف إلى بَوْحكَ . لا أريدُ تولّعات عابرة ، يجب أن تكون فوقها . لا تلمسْني .

تفيردنسكوي : لستُ ألمسُك ، ولستُ ألمسُ شيئاً . الكن في نظرتك شيئاً مُفترساً ، شيئاً أعلى من المرأة . أحدُ رفاقي كانت له امرأةٌ صديقةٌ ، مربّيةٌ . كنّا نسمّيها فلفوتشكا . أنت شبيهةٌ بها ، شبيهة بها جداً . ما ألطفَ هذه الثنيّةَ .

(يمسك بها ويضمّها إليه) .

كاترين ماتفيفنا : اسمعْ لي ، اسمحْ لي ، فكّرْ جيداً وافحصْ نفسك . الطريق التي . . . قلْ لي ، أيّ حب تحبّني ؟

(تنتزع نفسها منه وتنهض) .

تفيردنسكوي ، يتبعها : أنتِ عطرُ قلبي ، أرجيلة الأمل السماوي ، أنت بخارُ نعل اصنامي المعبودة ، أنت كل عذوبة قبّة سماء الكون وكل ضوئها . إني أحبكِ وأشتهي أن أشرع في استغلالك ،

كاترين ماتفيفنا : لا تَنْطقْ بحماقات ، فتَجرْح فيّ الكائنَ الشريف ، لا المرأةَ . لستُ أميرة . أنت تقول : إني أفْتناكَ بجاذبيتي ، وأنا أعتبرك رجلاً كريم النفس ، فحلّلْ خاصيّةَ هذه الجاذبية واشرحْها لي : حاولْ أن ترى الأشياءَ بموضوعية . إن عقلاً محسوساً يمكن أن يصغي إليك . هذا ما عندي .

تفيردنسكوي ، يدنو منها ويمسكها بيدها : أيتها المرأة الإلهية ، والحرة ! إن القدر يساعدنا . فرضيعُ « مينيرفا » (يشير إلى بيتيا النائم) . طار بين ذراعيْ « مورفي » ، وغدَوْنا وحدنا ، يَنْهشني الحب . (يمسك بها ويحاول تقبيلها) . المستقبل بين يديْ القدر ، والحاضرُ لنا . (يقبّلها) . كفّي إذن ، يا عزيزتي !

كاترين ماتفيفنا ، تدفعه بخوف : أنتَ تُهينني . وبكَ أيضاً ، خُدِعتُ . سأَصْرخُ ، اتركْني !

بيتروشا ، في نومه : الأسرة ... إغ ! ... عقبةٌ ... لا .. فر .. إغ ! ... ديّة .

تفيردنسكوي ، غاضباً ، يتركها : هذا لا يَليقُ بامرأة حرةٍ حقاً . أن تفهم كل شيء بطريقة قذرة ...

كاترين ماتفيفنا : يا إلهي ، إلى أين نزلتُ ! . . . يا إلهي ! . . . لكنني فوق . . . لا . . . أنا فوق كل شيء .

(تجلس على حدة ، مضطربةً وتستغرق في أفكارها) .

المشهد — ٥ —

« كاترين ماتفيفنا ، تفيردنسكوي ، فينيروفسكي وليوبوف ايفانوفنا » .

ليوبوف ايفانوفنا ، تخرج ، وهي تذرف الدمعَ مدراراً : أين إذن حريةُ المرأة إذا كنتَ تعذّبني ؟ ... إني ضجرتُ ، ماما كانت على حق ... كاتنكا ! الكسي بافلوفيتش ، يا صديقيّ ، وبيتروشا ! ماذا جرى ؟

تفيردنسكوي : مفاجأة مثيرة ! أنا . . . نحن ذاهبون إلى بطرسبرج .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ! كنتِ محقّةً ! لكن دعيني ... يجب أن أفكر طويلاً .

(تتكىء على مرفقها وتفكر) .

بيتروشا ، يستيقظ فجأة وينهض : انتظروا ، سأروي أفضل مما يروون ... يجب أن تعلمي أنتِ نفسك أن الأسرة ... إغ ! ... في تطور الفرد ... إغ ! ... يّة . ذهبتُ وحدي إذن ، لكن الكسي بافلوفيتش اكتشف أن هناك المشاعيّة ... والمشاعيّة ... مؤسسة مدهشة ، آه ! لا قيمة لذلك . . . أنا نعسان كثيراً ، أيقظتموني .

(يجلس) .

ليوبوف ايفانوفنا : ما بِهِ ؟

فينيروفسكي : لا شيء خارق للعادة . كل شيء مفهوم . سكرَ الصبيّ . ونجمتْ عن ذلك فظاعةٌ غير عادية .

بيتروشا ، ينهض : أنت نفسك فظاعةٌ غير عادية . كل الناس يعلمون أنك رجعي . قال لي الكسي بافلوفتش وكاتنكا أنك تزوجتَ من أجل المال . وهذه نذالة بحسب مفهوم . . .

(ينام) .

تفيردنسكوي : صبيّ ، في الواقع . ثق ، يا آناتول دميتريفتش أنني لم أقل ذلك ولا أراه ، لأن قناعاتنا . . .

فينيروفسكي : أن تقول ثم أن تنكر ما تقول ، هذا من شيمتكَ . (لكاترين ماتفيفنا) . أما معك ، يا آنسة فسأتكلم بجدّ . عندما تفاهمنا — هيه ! هيه ! هيه ! — في شقتي ، رجوتُكِ ألا تتكلمي عن شخصي . وأُجبرتِ على وعدي بذلك . إلا أنني أرى أنك لا تريدين أن تفي بوعدك ، وسأجبرك في الوقت الحاضر على الوفاء به . هيه ! هيه ! هيه ! — نعم ، فنحن ، الرجال الأذكياء حقاً ورجال العمل ، نتميّز عن الثرثارين من جنس صديقيك . . . وذلك بالضبط لأننا لا نُقاد بل نقود الآخرين ، كما قُدتُكِ — هيه ! هيه ! هيه ! نعم . (بهدوء) . تتباهَيْن بأنك حرة من الآراء المسبقة ، لكن هناك أشياء لا تريدين إعلانها ، فاعلمي إذنْ . . .

كاترين ماتفيفنا : اسمحْ لي ، اسمحْ لي . . .

فينيروفسكي : تفضّلي .

كاترين ماتفيفنا : لا ، لا شيء ؟ الحقُ معاك . دعْني فقط انتهي من تفكيري (تجلس في الوضع نفسه) . اتركْني ، من فضلك . سأجيبك فيما بعد .

فينيروفسكي ، لليوبوف ايفانوفنا : انتهيتُ الآن من هذه الآنسة . أما أنتِ ، فكفّي ، يا حلوتي . أنا متساهل مع الأشخاص الضعاف جسدياً وفكرياً ، وذلك شيء طبيعي ، لأنني أرى تماماً كل الطموحات الصغيرة . لكن عندما أُعارَضُ ، فمن عادتي تحطيم العائق . تريدين أن تُظهري أناك تماكين الإرادة . وهذا محمودٌ وإنساني ، لكن يجب أن يكون لك هدفٌ معقول .

ليوبوف ايفانوفنا ، بحرارة : أنتَ تعتقد دائماً أنك وحدك العاقل . كاتنكا ، أنتِ لا تحبّينني ، لكن قولي له الحقيقةَ ، من فضلكِ ، دافعي عني . أشعر بالضيق ، وبالضجر الشديد . لماذا تركتُهم جميعاً . لو كانت دنياشا على الأقل معي ! كاتنكا ما بكِ ؟

(كاترين ماتفيفنا تصمتّ ثم تجيب) .

كاترين ماتفيفنا : ليوبوف ، دعيني انتهي من تفكيري . إن تحوّلا كبيراً يجري فيَّ . أحسّ بذلك .

ليوبوف ايفانوفنا : أنتَ إذن ، الكسي بافلوفتش ، قلْ لي ، أكنتَ تعذّب المرأةَ التي تحبّها ؟ إنه يلوم أهلي ولا يُحبني .

تفيردنسكوي : أنا في الحب ، ليوبوف ايفانوفنا ، حديثُ التنصّر ، بل إني كافرٌ بالحب .

ليوبوف ايفانوفنا : لا همّ لكَ إلا المزْح ، لكني لا أمزح الآن . يا إلهي ، لماذا سافرتُ .

فينيروفسكي : لماذا هذه الجمل الرنانة الكريهة ! كفى ! أقول لكِ للمرة الأخيرة : حاولي أن تتبيّني رغباتكِ ، ثم عبّري لي عنها . الأمر بسيط . إني أعبّر عن نفسي بشكل واضح ومعقول . حاولي أن تفعلي مثلي .

ليوبوف ايفانوفنا : كانتكا تتكلّم دائماً مثلك . أيمكن أن نقول كلّ ما نحسُّ به ؟ وكيف يمكنني أن أقوله ؟ . . . أنت لا تتكلّم إلا عن نفسك . وأنت لا تحبّني ، ولم تفكّرْ فيّ لحظةً واحدة . . . فلماذا تضايقني فوق ذلك ؟ إني أضجر . أنتَ لا تمدح إلا نفسك . بابا كان سيفهمني .

فينيروفسكي : قلتُ لك : إنني فوق هذه الجمل ولن تستطيعي إكراهي على وَضْع قدمي في حَلْبةِ هذه النقاشات التافهة التي تدعينني اليها

المشهد — ٦ —

فينيروفسكي ، لكبير القرية : قلْ للفلاحين أن يربطوا خيولهم ، سأدفع ضعف الأجرة .

كاترين ماتفيفنا ، تنهض وتنفض شعرها : اسمحْ لي ، لقد أفنعتَ تفكيري . سأقول لكم في الوقت الحاضر كلّ شيء . . . إن علاقاتنا . . .

(تُسْمَع في الكواليس ضوضاء وصرخات) .

المشهد – ٧ –

« الأشخاص أنفسهم وإيفان ميخايلوفتش » .

ايفان ميخايلوفتش : آ ... آ ... آ ! يا أصدقائي ! ها هم هنا الطيّبون. أمسكتُ بهم جميعاً معاً ! . . .

تفيردنسكوي : أستطيع القول : إننا سنرى فضيحة صغيرةً حلوةً .

فينيروفسكي ، يجلس على كرسي قبالة ايفان ميخايلوفتش ويحدّق فيه بوقاحة : هذا رجلٌ يحتاج إلى نَقَفَةٍ .

كاترين ماتفيفنا : إيفان ميخايلوفتش ، أنا سعيدةٌ برؤيتك .

ليوبوف ايفانوفنا ، مسارعةً إلى أبيها : بابا ، يا عزيزي . . .

بيتروشا : ينهض من مكانه وينظر إلى إيفان ميخايلوفتش نظرةً متبلّدةً : اليوم . . . إغ ! ... كل الناس فهموا ... إغ ...

ايفان ميخايلوفتش ، مُبْعداً ليوبا بيده : حسناً ! (مخاطباً تفيردنسكوي) تفضل بالاقتراب مني ، يا سيد .

تفيردنسكوي : أتظن أنني مجبورٌ على أن أدفن نفسي إلى الأبد في الريف ، من أجل عشرين روبلاً ؟ يبدو لي أنك تستطيع أن تفهم بنفسك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقي العزيز . . . هذه النغمةُ انتهتْ . هل تعاقدْتَ على تعليم ابنيَ ؟

تفيردنسكوي : لعلك ترجو أن تُخيفني . . . لكن (يخاف) . إن الاقتصاصَ بالحكْم ليس حديثاً . . .

ايفان ميخايلوفتش : « حديثاً » ؟ سَمِعْنا بذلك ! والذي تعهّد بالعمل ، لم يترك عمله بدون سبب معقول فحسب ، لكنه يُضلّ الصبيّ عن الطريق الصحيح ، ويَخْرج به من بيت أبيه ؛ كيف تسمّي مثل هذا الرجل ، يا سيدي ؟ ألا تعلم ؟ يا خدّاع ! . . .

تفيردنيسكوي : أنتَ وقحٌ ، ولا أسمحُ لإنسان . . .

ايفان ميخايلوفتش : كيف ؟ (يهجم عليه) . لو كنتَ أكبر سناً ... لكنك جديرٌ بالرثاء ، يا سيدي . . .

تفيردنسكوي : بدون شك ، هذا ما ننتظرْ من قليلي الأدب ومن المضطَهِدين الصفّاعين .

(يتراجع)

ايفان ميخايلوفتش ، يهجم عليه بعزم أكبر : اخرجْ من هنا !

تفيردنسكوي : يلتقط صرّته ويصرخ من الباب وهو ذاهب : رجعي حقير !

المشهد — ٨ —

ايفان ميخايلوفتش : دون أن يعير تفيردنسكوي انتباهاً : والآن ، جاءَ دورُك ، يا صقري الصغير . (يدنو من بيتروشا) . ساشكا ! (يدخل الخادم) . هل جئت بالعصي ؟

الخادم : تحت المقعد ، يا سيدي .

بيتروشا : الفردية ، الفر — د . . .

ايفان ميخايلوفتش ، للخادم : خذْ هذا السفيه ، وصبَّ على رأسه سطلَ ماء ، أتسمعني ؟ وضَعْه في المركبة . . .

بيتروشا : الطغيان ... و ... من الساطة الأبوية . . . الفرد . . .

ايفان ميخايلوفتش ، يستدير فجأة ويصفعه على قذاله : لا تجادلْ ! امشِ ! ساشكا ، خُذْهُ إلى البئر ، وغطّسه بالماء ، واحرسْه في المركبة . . .

بيتروشا : ولمَ ذاك ؟ ... أستطيع بنفسي أن . . .

ايفان ميخايلوفتش : أتذهب ؟ ...

الخادم : حسناً ! تفضّلْ واخرجْ ، بطرس ايفانوفتش . . .

(يخرج الخادم وبيتروشا) .

ايفان ميخايلوفتش ، لكاترين ماتفيفنا : والآن ، أنتِ أيتها الطامحةُ إلى التحررّ بشعرك المقصوص ، اسمحي لي أن أسألكِ : أتظنّين أن منزل عملك منزلٌ عمومي ، أو ماذا ؟ قولي ؟ .

كاترين ماتفيفنا : ايفان ميخايلوفتش ! أُشاطركَ آراءك . . .

ايفان ميخايلوفتش : لا ، يا صديقتي ، دعي هذه الألفاظَ كلّها ! كنتُ أحمق ، لكني لن أكون كذلك بعد الآن . أكنت ألتذُّ بادارة أملاكك ؟ هل سرقتُكِ ؟ أكان هناك مَنْ يدفع لي نفقة إقامتك ؟ دَخْلُكِ من أملاكك مئة روبل في السنة ، وأنتِ . . . مِنَ المُقرف أن أتكلّم عن ذلك !

كاترين ماتفيفنا : أنتَ محقٌّ تماماً ، ايفان ميخايلوفتش ، وطريقتي في التصرف غير منطقيّة .

ايفان ميخايلوفتش : وماذا لقينا هناك ، أنا وماري فاسيليفنا ، غيرَ الاحتقار ؟ وبماذا توّجت ذلك كله؟ بالهرب وبهذه الرسالة ! (يخرج الرسالة) لستِ قريبتي ولا عمتي ، تفضلي واذهبي حيث شئتِ ، مع ذلك المدّعي .

كاترين ماتفيفنا : نعم ، يا صديقي العزيز ، نعم ، أنت تُعرب عن الحقيقة ، نعم ، يا صديقي العزيز ، أدركتُ خطيئتي . وأطلبُ نسيان ذلك . أنا امرأة شقية ، يا صديقي العزيز .

ايفان ميخايلوفتش : حسبُكِ خداعاً لي ، يا صديقتي . (يبصر فينيروفسكي) . كفى !

فينيروفسكي : لمَ تنظر إليّ هكذا ؟ لا أكتمك ، ايفان ميخايلوفتش ، أني تعبتُ من صراخك . عُدْ إلى بيتك ، فهذا أفضل حقاً . فليس ها هنا أولاد حتى تخيفهم .

ايفان ميخايلوفتش : سأعود ، يا سيدي ، متى قلتُ كلّ ما في نفسي .

فينيروفسكي : وماذا في نفسك ، أيمكن أن نعرفه ؟ سأُصغي إليك مع أني أعلم سلفاً ما ستَرْويه لي . فلن يكون فيه شيء جديد أو لطيف . . .

ايفان ميخايلوفتش : عندي الكثير مما سأقوله لك ، لكني لن أفعل ذلك بحضور امرأتي وابنتي . أتجد من الشريف أن تحرّض البنتَ على أبيها ، وأنا ، مع تخلّفي ، أعلم أن المرأة التي

لا تقدّر أباها ، ليس لها شأن كبيرٌ ، والتي لا تقدّر زوجَها شأنُها أقلّ .

فينيروفسكي ، لكاترين ماتفيفنا : أظن أن هذا السيد ينوي أن يعلّمني الشرف ؛ هذا مضحك جداً .

كاترين ماتفيفنا : هو على حق ، هو على حق تماماً ، لا تكلّمني ...

(تدير ظهرها) .

فينيروفسكي ، هازاً كتفيه : يا كبير القرية ، قدّم الجيادَ — وأنتَ ، إيفان ميخايلوفتش ، أنا أجدك مضحكاً ، مضحكاً لا غير .

ايفان ميخايلوفتش ، يصرخ : قلتُ لكَ : كفى . لندعْ هذا . اذهب بسلام . (لليوبا) . جئتاكِ بدنياشا . خذيها معاك . كنا حزينين ، حزينين جداً . . . لكنْ ، ليكنْ الله معاك . — عندما يصيرُ لك أولادٌ ستَفْهمين .

(يقبّلها ، ليوبا تبكي) .

فينيروفسكي : اللعبة مُثِّلَتْ تمثيلاً لابأس به . لكنها بدأتْ تزعجني . لنذهب ، ليونبكا لننتقل الى الغرفة الثانية .

لبوبوف ايفانوفنا : بابا ، لا أريد ، لن أسافر ابقَ معي . (لفينيروفسكي) دَعْني .

ايفان ميخايلوفتش : جُنِنْتِ ! آناتول دميتريفتش ، يا صديقي العزيز ، اعذرْني إذا اهتججْتُ . سنَبْقى . . .

فينيروفسكي ، يمسك امرأته بيدها : ليوبا ، لنذهبْ ، يستطيع أبوك أن يستمرّ في ريائه مع كاترين ماتفيفنا .

ليوبوف ايفانوفنا : بابا ، ماذا فعلتُ ؟ أنا أخافه ، وأكرهُه .

(تخبّىء وجهها في صَدْر أبيها) .

ايفان ميخايلوفتش : أنت تَهْذين . ماذا تقولين ، ليوبا ؟ ليس هذا مسموحاً .

كاترين ماتفيفنا ، نتقدم بمهابة ، وتردّ شعرها : الآن سأقول كل ما أفكّر فيه . اصغ ِ إليّ ، ايفان ميخايلوفتش ، اصغ ِ إليّ فينيروفسكي . يجب أن يَهْجر الحبُّ هذا الرجلَ ، هذا الشخص الشقي الحقير .

فينيروفسكي ، يجهد في أن يطغى بصوته على صوتها : أنت ِ امرأة حمقاء ، جاهلة ، عاهرة . اخرسي ، وإلاّ . . .

كاترين ماتفيفنا : لا ، فينيروفسكي ، لن تخيفني . أنا طبيعة حرّةٌ ، لن تغطّي صوتي ؛ أنوي أن أقول أنا نفسي كلّ شيء . أنتَ جبانٌ ، والذي يقول لكَ هذا كائنٌ حرٌ وليس امرأةً . . . سيُضيع ليوبا إن بقيت معه ، كما أضاعني قبل أن ينبذني . قبل نصف ساعة كنتُ أعدُّ نفسي متفوّقة على الناس جميعاً ، أما الآن فأنا أشقى المخلوقات واجدرها بالرثاء ، وأتعسها .

فنيروفسكي : أنت ِ غبيّةٌ ، لا أكثر . وفعلُك ِ لا يدهشني على الإطلاق ، لأنه ناجمٌ عن حمقك . ليوبوف ايفانوفنا ، أَعْرِضُ عليك ِ أن تسافري معي .

ليوبوف ايفانوفنا : لن أسافر إطلاقاً . أُفضّل أن أموت ! .

ايفان ميخايلوفتش : يابنتي المسكينة ! ماذا فعلتُ بك ِ لنذهبْ . وداعاً ، يا سيّدي . الآن ، أستطيع أن أقول لك كل شيء .

أنت أردتَ أن تتزوج من أجل الثروة . وأنت لم تحبَّ ليوبوشكا ولم تحترمْها . كان يلزمكَ شيءٌ واحدٌ : المال ؛ وقد أخذْتَه . وبما أنك أخذته هو والكائن الذي لا تساوي خنصره ، فقد جلبْتَ له الشقاء وبصقت في وجوه الذين لم يريدوا لكَ إلا الخيرَ . الكبرياء والتفاهة ! الغلطةُ كلها غلطتي .

فينروفسكي ، يجهد في أن يغطّي صوته ، ويمسك بيدها : كنت أشفق على ليوبا التي كانت تذبل في أسرتك الحقيرة ؛ وقد أنْقذتُها من فسادكم . ليوبا ، لنذهبْ ! لن أسمح لأحد بالسخرية مني . سأسخر منكم . لنذهبْ !

(يسحبها بيدها) .

ليوبوف ايفانوفنا : أوْجَعْتَني ، لن أذهب ، لا أريد أن أكون زوجتك ، أنا أكرهك . . .

كاترين ماتفيفنا : وهذا من أتباع المذهب الجديد ! مذهبنا !

ايفان ميخايلوفتش ، هاجماً على فينيروفسكي : اتركْها ! أتسمعني ؟ (يقف أمام ابنته ، فينيروفسكي يريد أن يتقدّم) . خطوة واحدة ، وأحطّمك قطعاً .

فينيروفسكي : هيه ! هيه ! هيه ! (يتراجع ، ويخرج ، على عجلٍ ، مسدّساً من جيبه) . أنظن أني لم أتوقّع هذا ؟ توقّعْتُ كل شيء ، باعتبار أني أتعامل مع ناسٍ مثلك . توقعتُ الشتيمة والمشاجرة . نحن رجال عملٍ ، ولا نسمح لأحد

بالضحاك على حسابنا ، هيه ! هيه ! حاولْ أن تُسيءَ إليّ .

(يصوّب مسدّسه) .

ايفان ميخايلوفتش : يقف أمامه ويهزّ رأسه : أحمق ! على مَنْ تريد إطلاق النار ؟ حسناً ، افعلْ ! ليوبا ، لنذهبْ .

(يخرجان) .

فينيروفسكي ، وحده : هل استطعتَ إذنْ أن تهزأ مني ؟ — هيه ! هيه ! لا ، لسنا مثل تفيردنسكوي ... حتى يمكن أن نُطْرَدَ ... بيكايشوف على حق ، فمع هؤلاء الأوغاد يجب أن يتخلّى المرء عن مبادئه كلها . كنتُ شريفاً أكثر من اللازم معهم ، لكن المرأة ، من ناحية أخرى ، حرّةٌ ، ولستُ أجدُ لي حقاً على امرأتي . آه ! نعم ، هناك أيضاً صكّ هِبَةِ أملاكها(١) .) يدخل الخادمُ ليبحثَ عن الشال) . تعال إلى هنا ، خذْ هذه الورقة إلى سيّدك . لن يفهموا أنني أعيد إليهم هذا الصك . هيه ! هيه ! لأن العلاقات في هذا الوسط المتجمّد ما تزال متوحّشة وفظّةً . أو لعلنا نحن قد أسْرفْنا في سَبْقِنا لهم ، وقد وُلِدْنا قَبْلَ الأوان بمئة سنة ، بحيث لن يكون بيننا وبينهم أيّ اتّفاق ممكن .

ستار

(١) صك هبة أملاكها : تناقض واضح . فالصفحات السابقة أوهمت أن الصك لم يعط .